سَأُنافِسُكِ...

أَيَّتُهَا الحَوْراءُ.

الاِسْتِهْداءُ بِصِفاتِ الحُورِ العِينِ

بِقَلَمِ صَفا نَصْرِ الشَّايِب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَفِي ذَٰلِكَ

فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ

إهداءٌ ينثر عطرًا

هم لا يريدون شكرا.. ولا جزاء سوى من خالقهم.. أعرف ذلك..

ولكنهم يستحقون قصائد من الياسمين وأناشيد من الرياحين

ودعوات كدعوات سيد المرسلين... .....

(فريق باسقات) متطوعات معهد نخلات الرائعات بكل أقسامكم وثغوركم

بعدد الساعات التي بذلتموها والجهود التي في بناء مكتبة المعهد قدمتموها...

آواكم اللّه ثبتكم اللّه

أظلكم اللّه

جزاكم اللّه رفعكم اللّه

أحبكم اللّه..

اللهم آمين...

الكاتبة

قبل البدء...

قبل أن تقرأي هذا الكتاب، أُريدُكِ أن تعلمي أنَّ هذا **العالم المثالي** الذي ترسمه كلماتي لست أطلب من أحد أن يطبقه بحذافيره، فقد كتبته ليكونَ بوصلةً تُريكِ الاتجاهَ، خُذي منه **نصفَ الحلمِ** أو أقل! ثم زِيدي **حبةً فحبةً**، كالزرع الذي يُروَى قطرةً قطرةً. **فالحياةُ رحلةٌ**.

لماذا هذا الكتاب؟

إنَّ الهدف من هذا الكتاب أن تعلو هِمَّة النساء، لا تلهثنَّ وراء نساءٍ يتباهينَ بدنيا فانية، لا تجعلنَّ من نساء الدنيا الناقصات مقياسًا لنجاحكنَّ! التنافسُ الحقيقيُّ هو: مَنْ مِنكنَّ تُسرعُ إلى الجنة التي يُهدَى لساكنيها: ما لم تره عينٌ، ولم يَخْطرْ على قلب بشر؟

اعتراف من الأعماق..

وأنا -كاتبةُ هذه السطور- أحتاجُ إلى كتابي أكثر منكِ.. كي لا تُغلقَ الدنيا على قلبي نوافذَ السماء.. أقرؤه مرارًا.. كي لا أنسى وأفتر وأفسد وتتسلط علي الدنيا... فيصبح كلامي حُجَّة عليَّ.. كي لا أنسى أنَّ المالَ زائلٌ... والجمالَ غادرٌ... والثناءَ سرابٌ... أتعثَّرُ كثيرًا.. وأسقطُ.. فأسألكَ -يا ربِّ- العفو ومزيدًا من التوفيق؛ لأحقق هدفي في الحياة.

ما هدفي في الحياة؟ أن أكون زوجة صالحة وأمًّا ناجحة ... فما أظن أن هناك ثغرًا يُرضِي الله عني كهذين الأمرين ...

نداءٌ إلى الرجال...

أيُّها الرجلُ الذي وقعتْ يده على هذا الكتاب.. لا تذهب فتهديه لزوجتك... حالك يقول: انظري ما كُتِب... وانظري ما تصنعين!

قِفْ لحظةً.. واسألْ نفسَكَ أولًا:

- هل قرأتَ كتابًا عن حقوق الزوجةِ عليك؟

- هل سمعتَ محاضرةً عن فنِّ التعامل مع (الحليلة)؟

- هل التحقت بدورةٍ عن المهارات الأسرية؟

- هل تتبعت سنة نبيك في تعاملاته مع الزوجات؟

إن لم تكن فعلتَ.. فها أنا أنصحُك: اشترِ كتابًا عن حقوق الزوجةِ عليك.. ثم أَهدِه لزوجتكِ... عزيزتي.. إنْ قصَّرتُ في حقٍّ من هذه الحقوق.. فذكِّريني.. فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ.. وإني أخافُ حسابَ الله... فهذا خير لآخرتك... وأنفع لدنياك ليكون صلاحكَ قدوةً لها في الإصلاح.

مع خالص التحية والدعاء

النخلة الأصيلة

صَفَا الشَّـايب

تمهيـــد

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، الحمدُ للهِ الذي له الحمدُ في السماءِ والأرض، والصلاةُ والسلامُ على القائل: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض»[1].

أما بعد:

فأنا لستُ وحشًا مرعبًا، ولا شبحًا مخيفًا، ولا أملِكُ قدراتٍ لا يملكها البشرُ، ولست قاسيةً غليظةً كي أخيف طفلًا صغيرًا، أو هرةً جبانةً، أو رعديدًا خوَّارًا. ناهيكَ عن أن أُخيفَ شخصًا بالغًا أو قويًّا صنديدًا، ولكنني مع ذلك أُحذِّرها مني، نعم أُحذِّر تلك الحوريةَ التي ترقدُ في جنانِ الخلدِ منعمةً، وأقولُ لها: أنا التي ستفوز... بإذن الله !!! كأنني أسمع قارئ هذه الكلمات يقول: وهل بينكن مسابقةٌ أو حربٌ حتى يكونَ لإحداكما الفوزُ فيها؟

نعم يا قارئ الكلمات، القصة بدأت منذ زمن... كنت في الصغرِ ولا أزالُ، أسمعُ كلامَ النساءِ مُتَشكِّياتٍ من أزواجهنَّ، تلك تَعيبُه، وتلك ترتابُ منهُ، وتلك تنتقصُهُ، وأخرى تبكي من معاملتهِ لها، ولو جلستَ مائةَ مجلسٍ مع النساءِ لا تكادُ تجدُ واحدةً -إلا مَن رحم الله- تذكرُ زوجها بخيرٍ. وإذا أرادت مدحَهُ مثلًا قالت: إنَّ به ألفَ حسنة، ولكنَّ به سيئةً تمحو الألفَ كلها.

المفروضُ طبعًا أن الإنسانَ يتأثرُ بالبيئةِ حولَه فكلُّ مَن ستحضرُ هذه الجلْسَاتِ باستمرارٍ تتوقعُ منها إذا تزوجتْ أن تتكلم بنفس الصيغةِ عن زوجِها؛ لأنها أصلًا إنْ تكلمت في مدحِ الرجالِ، وبيَّنت حُقوقَهم سَتُتهَمُ، كما اتُّهِمَتْ أمي بأنَّها محامي الدفاعِ عن الرجالِ، وهذا مَعِيبٌ طبعًا عند النساءِ المصوناتِ حفظهنَّ الله.

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨١)، ومسلم (١٨٤٥).

بقيتُ هكذا أستمعُ لهنَّ ولأمي في الجانبِ المضادِّ لهنَّ، ولم أكن أعرفُ في أي صفٍّ أقفُ؛ لِصِغَري في ذلك الوقت، لكنني كنتُ أحفظ كلَّ ما يقال.

وأنظرُ أمِّي وأبي -رُزِقتُ برَّهما- وتصرفاتهما، فتقول له: هكذا قالت فلانة. فيقول: هذا من سوء التدبير. وتقول: وهكذا فعلت فلانةً. فيقول: في هذه معها حق، كنت أحفظ كل هذا، بل وأدق منه، فمثلًا تقول أمي -رعاها الله- كلمةً، فأنظرُ إلى تعابير وجهِ أبي -حفظه الله- هنا فرح... هنا غضب...، لم يكن أحدٌ يلاحظ وجودَ هذه الصفةِ فيَّ إلّا أنها ساعدتني في اتخاذِ الوجهة التي سأسلكها في حياتي...

لم أكن حدَّدتُ وُجْهتي بعدُ، حتى أتى ذلك اليوم الذي أتت فيه امرأةٌ رأيتُها مظلومة تشتكي، ورأيتُ إصرارها أنَّ غيرتها منطقية... لذا قرَّرت عقاب زوجها... ومع ذلك كانت أمي تقول لها: لا تظلميه...

لم أعرف أينَ الصوابُ هذه المرة! أمي أم الجارة الشاكية؟ ففتحت بعض الكتب التي تتحدث عن حقِّ الزوجِ، فمرَّ بي حديثٌ عجيب:

عن معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ قال: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا؛ إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلكِ الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»[1].

أذهلني الحديث... هذه غارت من امرأةٍ في الدنيا، إنْ كَمُلت في جانبٍ نقصت في آخر، وإنْ أحسنت مرةً أساءت أخرى، وإنْ ملكت ذاك لم تملك تلك، وتصارعت وتشاجرت مع نساءِ الدنيا، ولم تنتبه أنَّ هناكَ امرأةً أخرى تصارعُها هي وتنافسُها، وتلك التي مِن مِثْلها يُخَاف، فلا عيبَ فيها يُرى، ولا إساءةَ منها تبدو، كَمُلَتْ وازدادتْ على الكمالِ فيما تملكُه.

عندها قرَّرتُ -حتى قبل أن أتزوج- أن تكون تلك الحوراءُ هي منافستي على زوجي.

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد، وصححه الألباني. انظر «الصحيحة» برقم (١٧٣).

نعم قررتُ.. سأكون أشدَ طاعةً وخدمةً وتودُّدًا ودلالًا وعنايةً بحسني وكلامي وخُلُقي منكِ... فهل تقبلين التحدي أيتها الحوراء، لكن أنا التي ستفوز بإذن الله.

تقولون: وكيف أفادتك منافستها قبل الزواج ولا رجل ؟!

أقول: عندما علمت مَن منافستي، وعلمت أن النِّزَالَ لم يقع، علمتُ أن معي وقتًا كي أتخذ عتادًا، وأُعِدّ خططًا لكسب المنافسة، فبِتُّ أقرأ وأقرأ وأقرأ، ثم أربي نفسي، وأكتسبُ مهارات، وأجهزُ أفكارًا، وأصلحُ في نفسي وغيري بكل حيلةٍ، مستعينةً باللهِ أن يعين فأعان.

حتى طالبتني الأخواتُ بوضع كتابٍ مفيدٍ ينتفعن به. وها أنا قد أجبتهنَّ، وأسألُ اللهَ أن يُوفِّقَني في هذا الكُتيِّبِ، وينفعنِي والقارئَ به، وأنْ يُخلِصَ نيةَ كلَّ مَن همَّ بقراءته، ويُلهِم كلَّ مَن له علمٌ أن يرى خطئي، ويرشدني للصوابِ؛ لأن هذا جهدُ طُوَيْلِبةٍ عِلمُها قليلٌ، وبضاعتها مُزْجاةٌ..

ولكن حسبي أنْ قد بذلتُ الجهدَ، واللهُ الموفِّق للسداد، ونسأله القبول، ولقد جعلته في مستوى أوساطِ العوامِ، لا مستوى العلماءِ وطلبةِ العلم، ولم أتفنَّن في البيانِ في الغالب والألفاظِ؛ كي تعم الفائدة.

إلهي؛ ارحمْ عبدكَ الذليلَ... ذا اللسانِ الكليلِ... والعملِ القليلِ... وامنُنْ عليهِ في عملهِ بالتأثير والقبولِ... واكنفهُ تحتَ ظِلكَ الظليلِ... يا كريمُ يا جليلُ... فالطريقُ شاقٌ طويلٌ... والزادُ قليلٌ... والأملُ والرجاءُ فيك يا جليل... ووالله لئنْ لمْ يغفرْ لنا ربُّنا ويَرْحمنا لنكونَنَّ من الخاسرين..

فعبد العبد البشري... يستطيع فكاك نفسه بالمال.

وعبد السيد الرب... لا يستطيع فكاك نفسه إلا بالأعمال.

(الزواج) الحلمُ الأكبرُ لكلِ شابٍّ، به تستقرُ النفوسُ، وتصفو الأذهانُ، ويتهذَّب الخُلُقُ، ويزيدُ الإنتاج. كان الزواجُ فيما مضى نَبعًا صافيًا، يَرِدُه العطشانُ فيَروَى، كان ظلا ظليلًا، يمرُّ به الراكبُ في الهجيرِ فيَهنَى، كان زادًا هنيئًا، يتزوَّدُ به الشخصُ المتعبُ فيتقوَّى. لكنَّ هذا لا يروقُ للحاقدين، قالوا: كيف نهزمُ قومًا يُشكِّلُ كلُّ بيتٍ في تركيبةِ مجتمعهم خندقَ جهادٍ؟ به يحتمونَ، ومنه يتزوَّدونَ، ولأجلهِ يَذُودونَ، وعليه يستندونَ، وفيهِ يتَّحدونَ، لا بد أن نلعبَ لعبةً نهدمُ بها الخندق، وإنْ لم نهدمه فليتشقَّق.

فكانتِ اللعبةُ، وكنا أحجارَ اللَّعِبِ، وكم مرةً انتهتْ اللعبةُ بعبارةِ: هنيئًا لقد ربحت. لقد نشروا الفتنَ، وعرُّوا النساءَ، وبثُّوا المشاهدَ الغراميةَ ليثورَ الشبابُ والفتياتُ. الحلُّ الشرعيُّ: الزواج، لو تزوجا صغارًا في السنِّ؛ حَفِظَا أنفسَهما من الفتنِ؛ لِغِناهما بالحلالِ عن الحرامِ، ولكنَّ اللعبةَ تكتملُ ليتهموا الزواجَ المبكِّرَ بأنَّهُ جريمةٌ على الطفولةِ، وأنَّ الدراسةَ والزواجَ لا يجتمعانِ، وأنَّ الزواجَ سجنٌ وعارٌ، فصاحَتْ الفِطَرُ وهاجتْ بحثًا عن الشريكِ، ووقفَ العقلُ الأخرقُ المتشبع بأقوالهم مقابلها، ثُمَّ وبعدَ المعاناةِ بين الحلالِ والحرامِ، وبعد زلاتٍ وقعتْ، وغفلاتٍ تتالتْ؛ جاءَ الوقتُ للزواجِ الذي باتَ أكبرَ مشاريعِ الحياةِ لأعبائِه الثقيلةِ، وبعد الزواج تصبحُ حياتنا نسخًا عن المسلسلاتِ، فالزَّوجة يجب أن تأخذَ حقوقَها، وتحافِظَ على كرامتِها ومكانتِها بأسلوبٍ غريبٍ، هو أسلوبُ البخلاءِ، فكي تأخذَ حقوقها؛ يجبُ أنْ لا تؤدي له أيَّ حقٍّ، وهو كذلك يطالب بحقوقه ولا يبالي ما أدَّى مِن واجباته، ثم تنتهي الحياةُ الزوجيةُ بسهولةٍ: (طلقني يا عتريس)، (أنتِ طالق يا وضحة). ويعود الزوج للتلفاز، ليرى مرةً أخرى أمواج الفتن التي تسلب العقل واللُّبَّ، وتنتهي اللعبة.

باتَ الزواجُ اسمًا مهولًا، يحملُ في طيَّاته الكثيرَ من المعاني، ما بين جمالِ الحلمِ ومرارةِ الواقع، بين واحة الراحةِ ومستنقع المسؤوليات، بين ترياق الشفاء وبتر الأعضاء، فلم يَعُدْ نبعًا عذبًا، ولا ظلًا ظليلًا، ولم يرجع زادًا هنيئًا.

ولا زالت اللعبةُ مستمرةً يُغنِّي الرابحون فيها بعد كل فوزٍ يُحقِّقونه:

انشروا الأفلامَ هيا في المساحاتِ الكبيرة
واتركوا الأجسام تحيا حرةً تبدو مثيرة
أقنعوها حين قالوا: أنتِ لا زِلْتِ صغيرة
فارفضي زوجًا تعيشي عنده أَمَةً كسيرة
فالويل كل الويل للجاني على البنتِ الصغيرة
سارتِ الأعوامُ فينا أنتِ أصبحتِ كبيرة
وَأْذَنِي في البابِ ضيفٌ طالبٌ عطف الوزيرة
عندها نادتْ أباها عاليًا.. ملكَ الجزيرة
حاجتي أبتاه قصرٌ والجواهرُ والحظيرة
هي مَطْلَبي أبتاهُ إني أستحق أنا المنيرة
وسعى الشبابُ لكل باب.. ودموعهم تجري غزيرة
رباه إنْ نبغي العفاف أَعِنْ ذوي الأيدي القصيرة
وأعان ربك فاستطاع.. وأميرنا خطبَ الأميرة
وتزوَّجا فإذا بها تنسى معاناةً كبيرة
وتريد أن تغدو سرابًا لا تُنال ولا تُلام، وليس تؤخذ بالجريرة
وإذا تكلم زوجها صُمَّت له... وتكلَّمت فالصَّمْتُ سمعًا يا خبيرة
عند المشاكل فَأْمَنِي فالأمر ألفاظٌ قصيرة
طَلِّقْ... طلاقٌ وانتهى... والجرح قد كسر الجبيرة
لم يشبعا... لم يَهْنَئا... وقناتنا عنهم ضريرة
لا.. لم تزل تسقي الشبابَ ثقافةَ الجنسِ الحقيرة

مَن للشباب يصونهم من نارِ أوهامٍ وحيرة
مَن يوقف الأحلام عنا قائلًا: هذي الظهيرة
ليقول: كلا للفساد... زواجنا يحمي السريرة
والناس موتى... فانعموا مَرحَى للعبتنا الكبيرة[1]

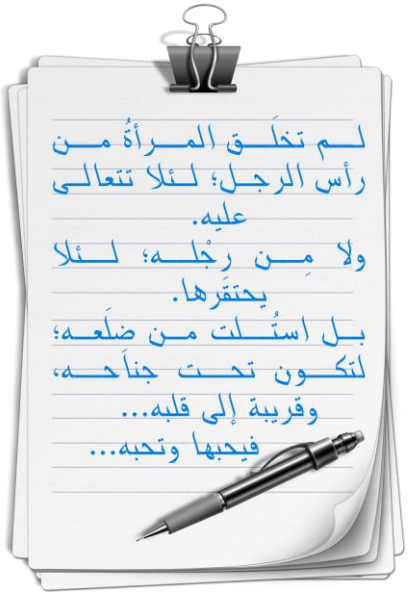

نعم مَرحَى لهم وتصفيقٌ حار، فكل فصولِ اللعبةِ مُحكَمةً، وكل المراحل متقنة، آنَ الأوانُ لأحجار اللعب... أنا وأنتِ... أن نجرب حظنا، ونأخذ دورًا كالباقين؛ لنُغيِّرَ فصولَ اللعبةِ، ولِنُنْجِزَ تلك المراحلَ، ولنصنع لعبتنا الجميلة، التي كل مرحلةٍ منها ارتقاءٌ لربِّ السماءِ، لعبة لا ننافسُ فيها أهلَ الأرضِ، بل ننافسُ فيها الحوراء...

(١) للكاتبة.

لـمـاذا نتـنـافـس؟

سيدتي المشارِكةُ في هذه المنافسةِ، إذا أردنا الفوزَ في المنافسةِ علينا أن نعرفَ: لماذا علينا أن نتنافس؟

تقولين: نظرتي العامة لحياتي الزوجية إيجابية، فإذا حدث بيننا خلاف في يومٍ ما نصلح أمرنا، فهو يُحبّني وأُحبّه، وتمضي حياتنا كما هي عليه غالبًا، ولا حاجة بنا أن نثير مشاكل أو نبدأ حربًا حول أمور اعتدنا عليها في طريقة تعاملنا مع أزواجنا.

أفهمُك.. ولكن دعيني أسألكِ سؤالًا حبيبةَ القلب.. ألم يأتِ عليكِ وقتٌ تمنيتِ فيه رؤيةَ الحبيبِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والحديثَ معه، والصلاةَ خلفهُ، ألم تتمنِّي أن تكوني واحدةً ممن بايعَ يومَ العقبةِ، أو بعدَ الفتحِ، وعاهدَ النبيَّ على السمعِ والطاعةِ... أكادُ أسمع جوابك: أنْ نعم. إنَّ كلَّ طاعةٍ أوجبها الله هي طاعةٌ لرسولهِ، وقد أوجبَ اللهُ علينا طاعةَ أزواجِنا في غير معصيةٍ، ولكن كيف تكون الطاعة لهم.. أهي التي ذكرتِ أنها عادية؟

كلا.. إنها تُشبهُ بيعةَ الأنصارِ لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بل هي هي... فلنسمع:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُومَ -أَوْ: نَقُولَ- بِالْحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»[1].

وفي «المعجم الأوسط» للطبراني أنه قال: «عَلَيكُم بالسَّمعِ وَالطَّاعةِ فيما أَحْبَبتم وَكَرِهتُم، فِي مَنْشَطِكم ومَكْرَهِكم، وأَثَرَةٍ عَلَيكم، وَلَا تُنازِعُوا الْأَمْرَ أَهْلَه»[2].

ولكي تفهمي الأمر... انظري كيف تحبين لابنك أن يطيعك ولا يتكاسل... الأمر متشابه تمامًا... بل إنَّ ابنك سيتعلم منك ذلك الذي تتمنيه.

---

(١) رواه البخاري (٦٧٧٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٧٧).

أرأيتِ كيف تكون الطاعة.. على هذا التقديرِ فالطاعةُ تكونُ حينَ أكونُ نَشِطةً أو مُتْعبةً.. في الليلِ والنهارِ.. في السرِّ والعلنِ.. فيما نُحبُّ وفيما نَكْرهُ.. أُعْطِينا أو حُرِمنا.. في البيتِ وخارجه.. أمامَ الناسِ وخلفَهم. فليس لنا أن ننازع الرجال على منصب القَوَامة، ولكن كما الطاعة واجبة في المعروف... فواجبٌ علينا المعصية في غير المعروف... بل واجبٌ علينا أو لنا التوجيه بقول الحق، دون خوفٍ إلا من الله... وقليلٌ منَّا تفعله..

واعلمي أننا إذا فعلنا ذلك لن نغلبَ الحوراء وحدها؛ بل سننافسَ الرجالَ على أجرٍ، ربما لا ينالُه كثيرٌ منهم في زمانِنا وننالُه نحن، ننافسُ كي لا نُضِيعَ بيعةَ رسولِ الله، وندخل الجنة، ويُغفَرَ لنا بخروج أرواحِنا من أجسادنا، ومَن منَّا لا تريدُ أن تَلقَى اللهَ وقد غفر لها..

اللَّهُمَّ اجعلنَا ممن يحفظْنَ بيعة رسولك..

تعلمين أَنْ ليس من طاعة الله ورسوله بُدٌّ:

عن أبي أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانَهم: العبد الآبق -الفارُّ من سيده- حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمامُ قومٍ وهم له كارهون»(١).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإحدى نساءِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ: «أذاتُ بَعْلٍ؟» قالت: نعم، قال: «كيف أنتِ له؟»، قالت: لا آلوه -أي: لا أُقصِّر في طاعته- إلا ما عجزت عنه، قال: «فانظري أينَ أنتِ منه؛ فإنَّه هو جنتكِ ونارك»(٢).

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا ينظر الله إلى امرأةٍ لا تشكرُ زوجها، وهي لا تستغني عنه»(٣).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه، فأبت أنْ تجيءَ، فبات غضبان؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح»(٤). وفي روايةٍ:

---

(١) رواه الترمذي، وحسَّنه الألباني في «مشكاة المصابيح» (١١٢٢).

(٢) رواه الترمذي، وصحَّحَهُ شيخُنا الألباني في «آداب الزفاف».

(٣) رواه النسائي، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٨٩).

(٤) رواه البخاري ومسلم.

«والذي نفسي بيده؛ ما مِن رجلٍ يدعو امرأته إلى فراشه، فتأبى عليه؛ إلا كان الذي في السماءِ ساخطًا عليها حتى يرضى عنها». وفي رواية أخرى: «إذا باتت المرأة مُهاجرةً فراش زوجها؛ لعنتها الملائكة حتى تصبح». وفي رواية: «حتى ترجع».

وعن طلق بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إذا الرجل دعا زوجته لحاجته؛ فلتأتِهِ وإنْ كانت على التَّنُّور -فرن الخبز-، والذي نفس محمد بيده؛ لا تُؤدِّي المرأةُ حقَّ ربِّها حتى تُؤدِّي حقَّ زوجِها، ولو سألها نفسها وهي على قَتَب -ظهر الجمل-؛ لم تمنعه نفسها»[1].

فانظري حالَ عبدٍ لم تُقبَلْ صلاتُه، وأهملَ جنته، ولمْ يَنْظرِ الله إليه، ولعنته الملائكة، وسَخِطَ عليهِ ربُّه، وشَهِدَ له رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه لم يُؤدِّ حقَّه سبحانه، نعوذ بالله..

تقولين: لِمَ كُلُّ هذا؟ أَمِن أَجْل رجلٍ!! هل تعلمين حق هذا الرجل.. اسمعي:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «لا يصلح لبشرٍ أنْ يسجدَ لبشرٍ، ولو صلح لبشرٍ أنْ يسجدَ لبشرٍ؛ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها مِن عِظَمِ حقِّه عليها، والذي نفسي بيده؛ لو كان مِن مقدمه إلى مَفْرِق رأسه قرحةٌ، تنبجس بالقيح والصديد، ثم استقبلته تلحسه؛ ما أدَّت حقَّه»[2].

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو تعلم المرأة حقَّ الزوج؛ لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه، حتى يفرغ منه»[3].

عن أسماء بنت زيد الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: مَرَّ بي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في جَوَارٍ أَتْرابٍ لي، فسلَّم علينا، وقال: «إياكنَّ وكفر المنعِّمين»، فقلت: يا رسول الله، وما كفر المنعمين؟ قال: «لعلَّ إحداكن تطول أَيْمَتُهَا من أبويها، ثم يرزقها الله زوجًا، ويرزقها منه ولدًا، فتغضب الغضبة فتكفر، فتقول: ما رأيت منك خيرًا قط»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه وغيرهما. وفي «السلسلة الصحيحة» (١٢٠٣).

(٢) رواه الإمام أحمد (١٢٦٣٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قوله «والذي نفسي بيده لو كان من قدمه...» إلخ.

(٣) رواه الطبراني، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٥٢٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال الألباني: إسناده جيد. «السلسلة الصحيحة» رقم (٨٢٣).

إذا ضاق صدركِ، فعودي واقرأي تلك الأحاديث... ولكن بدِّلي كلمة (الرجل) بكلمة (الأم)، وكلمة (الزوجة) بكلمة (الابن)... فتخيّلي الحديث عن ولدٍ باتَ وأمه ساخطة ووجوب استرضائها... وابن لا يجلس مع أمه على الطعام احترامًا لها... لن تجدي ذلك الضيق غالبًا؛ لأننا نحب المغنم ولا نحب المغرم... حتى لو كان الابن الصالح البار سيأتي نتيجةً لذلك الأدب الذي ستعتاده الزوجة. علمًا بأنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يأمر زوجاته بذلك المستوى العالي من الحواجز معه... بل أكل معهنَّ.. ومازحهنَّ.. وتحمَّلهن.. وخَالَفَنَه في أمورٍ.. وتَعطَّر لهنَّ.. ونظَّف أسنانه كي لا يؤذيهنَّ. فالهدف من تلك الأحاديث ليس حرفيتها... بل زرع الجِدِّية والحذر في نفس المسلمة عندما يكون زوجها صالحًا... كي لا تُفسِد قلبه.

أبعد هذا تظنين أنَّ طاعتك لزوجك فضلٌ لا تأكيد، فاحذري أن تنالي غضبَ مَن قالَ عن نفسهِ: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، ثُمَّ قَصِّري كما شئتِ؛ فالحوراءُ لن تُقصِّر... وابْخَلي بما شئتِ؛ فهي لَنْ تبخل... سَتَسْتحْوِذ على قلبِ زوجِكِ ولُبِّه بحسنِ طاعتها ودَلَالها له.

فإنْ قلتِ: لا أقدرُ على غضبِ الذي في السماءِ، وأنا أَمَةٌ ضعيفةٌ في أرضِه؛ فدعينا نتنافسَ لرضوان الله؛ فالبابُ مفتوحٌ..

اللّٰهُمَّ إنِّي أسألكَ برحمتكَ التي وَسِعتْ كلَّ شيءٍ.. وبقدرتكَ التي قهَرَتْ كلَّ شيءٍ.. وبعزتكَ التي أخضَعَتْ كلَّ شيءٍ.. وبنورك الذي لَوْ تجلَّى لَأَحرَقَ كلَّ شيءٍ... أَنْ تُعيذَنا مِن بطشكَ وغضبكَ وعذابكَ..

اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لنا الذنوبَ التي تهتكُ العِصَمَ.. واغْفِرْ لنا الذنوبَ التي تُغيّرُ النِّعمَ.. واغْفِرْ لنا الذُّنوبَ التي تُنزِلُ النقمَ..

واغْفِرْ لنا الذنوبَ التي أَهْلَكتْ قومًا قيلَ لهمْ: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ [الأعراف: ٤٤].

اللّٰهُمَّ لا تُهْلِكنا فجأةً، ولا تأخُذنا بغتةً، ولا تُعجِّلنا عن أداءِ حقٍّ ولا وصيةٍ.

اللّٰهُمَّ إنَّا نسألكَ العفافَ والغِنى، والتُّقى والهدى، وحسنَ عاقبةِ الآخرةِ والدنيا، يا غايةَ المُنَى، ويا حبيبَ الموحِّدينَ.

في كل صلاةٍ.. بل في كل ركعةٍ؛ نُردِّد سورةَ الفاتحةِ العظيمة بآياتها السبع، ولطالما قرأنا قولَه سبحانه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٤]، التي يُجِيبُ اللهُ عبادَه بعدها: «هذا بيني وبينَ عبدي»(١).

فَكَمْ مِنْ عبدٍ قرأها فقالَ العبدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وربما قالَ اللهُ: كذبَ عبدي، ما عبدني، وما استعانَ بي. نسألُ اللهَ السلامة، ولكني كنتُ أَحَارُ دائمًا: لماذا العبادةُ قبلَ الاستعانة؟ ولَمْ تكن تقنعني أجوبةٌ مثل: لِشَرَفِ مقامِ العبودية ولفضلِها ولمناسبتِها لِمَا قبلها مِن ذِكْرِ يَومِ الدينِ، وفيه الحسابُ على العبادة. فإنَّ المنطقَ لا يقولُ بتقديم أعمالِنا على استعانتنا. وثَمَّةَ دليلٌ عقليٌّ ظاهرٌ.. هو أنَّ صلاةَ الاستخارةِ تكونُ قبل فِعْلنا لا بعدَه.. وهي استعانة.

تفكَّرتُ كثيرًا، ورأيتُ أنَّ اللهَ يريدُ أَنْ يُعلِّمنا قاعدةً نتبعها في كل حياتنا، معه ومع غيره سبحانه، القاعدة هي: قَدِّم له عبادتك، ثم اطْلُبْ منه مساعدتك... قَدِّم ما عندك، ثم سَلِ الآخرين ما عندهم... وهذا ما لا نراه في مجتمعاتنا إلا مَن رَحِمَ ربك.. فالكُلُّ يريدُ كلَّ شيءٍ، ولا يُقدِّمُ قبلَ ذلكَ أيَّ شيءٍ.. تقولين: أَحسنتِ.. إنَّ زوجي يريد أن أفعلَ كل شيء؛ ولَمَّا أطلبُ منه الشيء يقيم الدنيا ولا يقعدها.

آسفةٌ لأنني ضحكتُ بعد قولك هذا.. لكنه دليلٌ على ما قلتُ.. نحن نُوجِّهُ تُهَمَ النقصِ للآخرين دونَ النظرِ لأنفسنا، كنتُ قبل فترةٍ أقرأ في كتاب «روائع زوجة الأحلام في عصر

---

(١) قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْن، وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِى، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي -وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي-. فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ قَالَ: هَذا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ... الحديث. رواه مسلم (٩٠٤).

غربة الإسلام»[1]، ويتحدث فيه عن مواصفات يطلبها في زوجته الرائعة فيقول مثلًا:

«أين الزوجةُ الأختُ الحبيبةُ الصديقةُ الحليلةُ في آنٍ واحدٍ؟ ... أين التي تتحلَّى بالصبر الجميلِ والذكاءِ المتوقِّدِ والشفافيةِ العاطفيةِ، فهي رومانسية في الحلال... أين التي ترضى بالدين من بعلها» وهكذا...

فقالَتْ بعضُ النساءِ: أينَ الرَّجُلُ الرائعُ الرومانسي الحنونُ الكريم؟! ... كلُّ شيءٍ مطلوبٌ منا.. أين أخلاقُهم هم؟

فعجبتُ لأنَّ رَدَّة فِعْلي عندما قرأتُ الكتابَ كانَتْ مختلفة؟

أثارتني تلكَ الأسئلةُ حتى صِحتُ غَيرةً: أنا سأكون كتلك الزوجة بإذن الله.

فكان الكتابُ بالنسبة لي كصرخة: وامعتصماه، التي لامست قلبًا فيه مروءةٌ، فقام لنصرِ المنادي.

وكانت لهنَّ الكلماتُ مصيبةً، حتى لكأنَّ إحداهنَّ تريدُ أنْ تقولَ للكاتب -جزاه الله خيرًا-:

خطبتَ فكنتَ خَطْبًا، لا خطيبًا تُضافُ إلى مصائبنا العظام

فتعجَّبتُ، وأُصِبتُ بخيبةِ أملٍ، فقد كنتُ معجبةً بالكتابِ جدًّا... ولكني سألتُ نفسي: لماذا كانَتْ رَدَّة فعلهنَّ هكذا؟؟ ثم عرفتُ السبب؛ لأن مَثَلنا كمَثَل هذا الرجل الصانع الذي كان منهمكًا في عمله ينفخ بالكير النارَ المشتعلةَ، ويضرب بمِطْرقته ما أمامه من صفائح الحديد، وكان أحد أولاده بجانبه يساعده، فبلغه خبرٌ عن غنمٍ دخلت إلى مزرعته، وأفسدت بعض صغار الغَرْس، فأخذ يصرخ مستنكرًا، وأطلق لسانه في السبِّ والشتم... فجاءه أحد الصبيان، وأخبره أنَّ المزرعة مزرعة جاره، لا مزرعته... فهدأ قليلًا، ولكنه ظلَّ يقول: لا بد أن يُعاقَب الراعي.. وأنْ يُعاقَب أهله. ثم جاءه مَن أخبره أنَّ الغنم له.. وأن الراعي ولده، فسكن وجلس في مكانه، وقال لابنه بجانبه: انفخ الكير يا ولد. وكأنَّ شيئًا لم يكن[2].

هكذا نحن لا نحاسبُ أنفسَنا... ماذا قدَّمنا؟

---

(١) د. إسلام المازني.

(٢) بتصرُّف من كتاب «بشروا ولا تنفروا» لعبد الرحمن العشماوي.

ونحاسبُ الرجالَ... ماذا لم يُقدِّموا؟ كي ننسى ما قدَّموا، تعوَّدنا أنْ نطلبَ منهم، دون أنْ نسألَ أنفسنا... ماذا أعطيناهم؟ وفي أحسن الأحوال تعوَّدنا أن نعطي كي نأخذ، وحين لا نأخذ؛ فلا نُؤتِي الرجل قطميرًا... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نحن النساءُ غريباتٌ... نقول: إننا نحبُّ الرجالَ... وتقولُ لك: إنَّ قلبي سينفجرُ من حبِّه... ولكنْ لماذا لا يصبح الحبُّ عطاءً وتَضْحية؟ هذا لأنَّ الذي في قلبك ليس هو الحب!! إنه الرغبات وحبُّ المصلحة، لو أن هذا الرجل ضربكِ... هل ستتغيرين؟ لو أنه أهانك أمام صديقاتكِ... هل ستتغيرين؟ لو مرَّ شهرٌ كاملٌ وأنت تطلبينَ منه أمرًا ولم يحضره، مع أنه يحضر لنفسه ما يشاء... هل ستتغيرين؟

وعلى قاصمة ظهوركنَّ... لو تزوَّج غيركِ... هل ستتغيرين؟

نعم... ستَعْتِبين وتغضبين... ولكن هل ستتغيرين؟ هل ستتوقفين عن العطاء؟؟ أرأيتِ أنك لا تعاملين الأخلاق على أنها ميثاق وعهد مع الله ورسوله... بل هي شعارات تزول عندما لا ننال الدنيا.

ألم أقل لكِ: إنها المصالح والكرامة... لا الحب الذي لم نَعُدْ نعرف معناه، إنَّ الحبَّ معناه ما قاله أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كانَا على عَطَشٍ، فأحضرَ له لبنًا، فشربَ منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال أبو بكر: «فشرب حتى رضيت»[1].

فَـــإِنْ رَوِيَ الحبيـــبُ وأنـــتَ صـــادٍ ... رَويتَ كأنَّـكَ قـد شربـت الآنَ نهـرًا

جزى الله أمي خيرًا، كان والدي يتأخرُ في العملِ أحيانًا، فأداعبها مِن بابِ المزاح أقول: (يا أُمَّهْ؛ لعله ذهبَ يزورُ زوجته الثانية). مع أنه ليسَ بمتزوج عليها! فتقول لي: (إنْ كان سعيدًا ومرتاحًا عندها فليبقَ). إنَّه إنكارُ الذاتِ أمامَ راحةِ الذي نُحبُّ؛ بل جوابها أيضًا دليل حبها لنفسها وربها... فلن تُهلِكَ نفسها التي وضعها الله أمانةً عندها في حزنٍ على شيءٍ من الدنيا؛ كأنَّ النفسَ تصيحُ إذا أحبَّت:

لَـــنْ تســـتريحَ عيـــوني دونَ راحتِـــهِ ... ولـــو بـــذلتُ دَمِي جُـــودًا وإحسَـــانَا

إنْ كانَ مـــوتي ونســـياني ســـعادته ... فأُحـــبُّ مـــوتي كي يَهنَـــا ويَنسَـــانَا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٣٠٧)، ومسلم (٢٠٠٩).

يرنُّ جرسُ الهاتفِ... مكتوبٌ على شاشتهِ: أغلى مَن في الكونِ يتصلُ بك... حبيبُ الروحِ يتصلُ... إنه زوجُها. سترُدُّ فماذا تتوقَّعُ أنْ يسمعَ أغلى مَن في الكونِ مِن حبيبته؟ فتسرحُ بخيالك متأملًا عذوبةَ الكلماتِ التي ستجري بينهما وسحرَ العباراتِ التي ستُتْحِفُ أُذُنَه بها... فيقطع ذلك الخيالَ صوتٌ عنيفٌ يردُّ: ألو... خير... أيوه... شو... طيب... ماشي... بدك إشي... باي.

أقولُ لها: (مع مَن كنتِ تتكلمين؟)... تقول: (حبيب عمري)، مَنْ؟ مَنْ؟ تقول: (حبيب عمري زوجي)، أين الكلماتُ العَذْبة... أين الإحساسُ النابض... إنْ كنتِ تكلمين حبيبكِ هكذا... فكيفَ بمَن تكرهين... لا تقولي لي: إنكِ تخجلينَ... فكيفَ لم تستحِ المغنيةُ أنْ تَخرُجَ على مُدرَّج به مليونا رجلٍ لا تعرف واحدًا منهم أن تقولُ بصوتِها الذي يذيبُ لُبَّ الرجال: (مش عايزة غيرك إنتا... والله بحبك إنتا... والحب كله إنتا... وإنتا الناس كلها). وتشاركها أختها على مسرح آخر قائلة: (معجبة مغرمة... أنا مش عايزة إلا هوا). وتشتكي ثالثة من حبيبٍ خدعها، فتقول: (مقدرش أقول إحساسي... كان لعبة فى إيديك... عشان إحساسي هو اللي كان حيموت عليك).

آسفة!! لخدش أسماعكم بكلماتِ عديماتِ الحياءِ... أسألُ اللهَ لهنَّ الهدايةَ والستر، ولكن ألا يَسْتحينَ أنْ يَقُلنَ هذا، ولا تستطيعُ إحدانا أنْ ترد بما يناسبُ مقامَ الحبِّ الحلال الطاهر؟!! يستطعن لأجل الشيطان، ولا نستطيع لأجل الرحمن! لا تريدين أن تقولي: حبيبي أمام الناس... رُدِّي بالطريقة التالية: نعم أُوْمُرني... على عيني... حاضرة... تأمرني بشيءٍ... الله يحميك... مع السلامة.

بالتأكيد... هي أفضل من: ألو... أيوة... خير... إلخ.

- ما لي أرى تعابير الانزعاج على وجهكِ... ألا يعجبكِ كلامي؟!!

- تجيب: كلَّا... ولكنى لم أَقُلْ لكِ: إنني أستحي... بل أنا أخافُ أنْ يتكبَّر و(يكبرَ رأسه)، ويصدقَ نفسه... ليس من الجيدِ للمرأةِ أنْ يشعرَ الرجلُ بأنها تحبه، ولا تستغني عنه، فيُذِلُّها بذلك الحب... (وتلك نفس حُجَّة الرجال الذين يبخلون على نسائهم بالعواطف... حُجَج شيطانية).

- أقول: ماذا سيفعل كي يُذِلُّك؟ نَوِّريني فلعلي جاهلة!!

- أجابت: يطلب منكِ أشياء كثيرة... لا يهتم بإحضار هدايا لكسبِ قلبكِ... لا يعتني بنفسه؛ لأنَّه يظنُّ أنَّ المرأة ستُعجَبُ به مهما كان... وهكذا.

- حسنًا.. قولي لي: ما أكثرُ طبقٍ تتعبين في إعداده؟
- كعك الجبل... لماذا تسألين؟
- كم ساعةً يحتاجُ كي يجهز؟
- إمم... تقريبًا ساعتين من العمل.
- هذا متعبٌ حقًّا... متى صنعتِه آخر مرةٍ؟
- قبل أسبوعين.
- مَن تناوله؟
- زوجي والأولاد... لماذا كل هذه الأسئلة؟
- قولي لي... تخيَّلي أنَّ زوجك عندما تناولَ منه قال: (سَلِمتْ يداكِ... شهيٌّ من يدٍ لا عدمناها).
- قُلْتِ إنَّ الطبقَ كان متعبًا... هل ستصنعينَ الطبقَ مرةً أخرى؟
- بالطبع... كلما سنحتِ الفرصة.
- لماذا؟؟؟ !!! ألم تتكبَّري -ويكبر رأسُكِ-... ألمْ تصدقي نفسَك حينَ امتدحكِ؟! ... هيا لا تهتمي بأمره وأَهْمِليه... لماذا ستعيدينها... لماذا؟؟

أنا أجيبكِ.. لأنَّ الكلامَ الجميلَ يدفعنا لزيادةِ العملِ وإتقانِه، ولو كان شاقًّا... ولكن كما قُلتِ أنتِ كلما سنحتِ الفرصة.

- هناك قاعدةٌ مهمةٌ أحبُّ أن أعلمكِ إياها... فاحفظيها دائمًا: إنَّ كلا الجنسين يحاولُ أن يرسمَ صورةً جميلةً في عينِ الطرفِ الآخر كي يحظى بإعجابه... وأنتِ تتذكرين ذلك في مرحلة الخِطبةِ، وكيف حاول كلاكما إظهارَ أحسنِ ما لديه... ولكن إذا أحسَّ الرجلُ أنَّ الصورةَ التي رسَمها خُدِشت في عينِ المرأةِ... وأنَّ عيوبه انكشفت لديها... عندها لن يهتمَّ بتحسينِ نفسِه أمامها... وربما اهتم بذلك أمام غيرها... كَيْ أُوضِّحَ القول...

سآتي بمثالٍ: رجلٌ سريعُ الغضب تزوج ثنتين في يوم واحد (س) و(ص)، لن يُظهِر ذلك لهما في البداية؛ كي يرسمَ الصورةَ الجميلة في عينِ الطرفِ الآخر، غضبَ مرةً أمام (س)... ولم يتمالَكْ نفسه، فقَالَتْ له: كُلُّ ما كنتَ تفعله تمثيلٌ... كنتَ تكذبُ عليَّ... أنتَ عصبيٌّ، ولا تتمالك أعصابكَ... وقالت له (ص): أكيد هذا ليس حبيبي الذي أعرفه...

حبيبي هادئُ الأعصابِ... حنونٌ يتمالك نفسه... رائعٌ متفهمٌ... متأكدة أنَّ هذا مِن فعلِ الشيطانِ الذي يريدُ أنْ أُغيِّرَ نظرتي عنك وأكرهكَ... لن أطيعَ الشيطانَ... بل سأُغِيظه وسأبقى أحبك... سيَسْتَحيي منها، ويحاول تعديل الصورة مرةً أخرى...

ولنترك الأمثلة الخيالية، وننظر للواقع... فهذه جارة لي عندما تزوج زوجها عليها أخفى عليها أمر الدخان... وبدأت تشكُّ من الرائحة وهو ينكر... وتراجعه ثانيةً فينكر... حتى رأته مرةً بعد عام ولديها طفل... حيث كانت في الحافلة... وكان مع رفاقٍ جلس يدخن... فلما عاد قالت له: يا كاذب... رأيتك تدخن اليوم في المكان الفلاني... فقال لها: نعم أنا أدخن وسأدخن وأدخن... وإنْ لم يعجبكِ فافعلي ما تشائين.. قالت: ليتني لم أفضحه... فقد أصبح يدخن في المنزل، ولا يبالي بصحتي ولا بصحة أولاده الخمسة، ولم يتركه حتى الآن.

ولكن اقرئي على العكس... قصةَ المرأة التي عَلِمَتْ أنَّ زوجها يُدخِّن من كتاب «كيف تؤثرين على زوجك» إعداد شيخة الدهمش، وسأذكرها هنا باختصارٍ؛ لكي تعلمي كيفية استغلالِها لتلكَ القاعدةِ قالتْ:

شاء الله أن يتقدمَ إلينا شابٌ من عائلةٍ طيبةٍ، محافظٌ على الصلاةِ... وبعدَ عقدِ القِرَانِ عرفتُ أنَّهُ مُدخِّن... قمتُ وصليتُ ركعتينِ... سألتُ الله فيها بإلحاحٍ أَنْ يفتحَ عليَّ بحسنِ التصرفِ معه... وأن يهديه... وفي ليلةِ الزفاف... أخذَّتُ أتنقل بين الغرفِ، فوجدتُ طفاية سجائرٍ وبها بقايا، فالتفتُّ إليه، وقلتُ له: (ما هذا؟ سجائر في بيتي؟ بعد اليوم لا أريدُ رفاقكَ الذين يدخنونَ أَنْ يدخلوا بيتي)، ولم أَتَّهمْه هو بالتدخينِ...

لَمْ أُظْهِرْ له معرفتي بذلك... فتَلعثمَ لي بادئ الأمر؛ إلا أنه وعدني بتلبية طلبي. وفي الصباحِ أخذَ علبةَ السجائرِ والولاعة وأخفاهما في السيارة... فكان كلما اشتاقَ لهذا السمِّ نزلَ بحُجَّةٍ... وعندما ينتهي يعودُ برائحته النتنة...

وكنتُ لا أتغاضى عن أيِّ شيءٍ أراهُ أو أشمُّه في ملابسه، فأستنكرُ الرائحةَ وآخذُ الملابسَ منه وأُبعِدها، ولا أسمحُ أنْ تبقى على جسده ولو لثواني، وأدعو للأشخاص المدخنين بالهداية...

وهكذا في كل مرةٍ تقع عيني على بقايا سجائر بالسيارةِ، أو أشمُّ رائحتها... يُكثِرُ لي من الأعذار بأنه أَوصَلَ فلانًا وعلانًا. ودَاوَمَ على هذه الحالِ فترة... حتى انقطع عنه بالتدريج، وأصبحَ الآنَ لا يدخن بتاتًا. وقد لاحظ بعضُ أقاربه بأنه لا يدخن... فسألوني: ما الذي فعلتِه؟ فأنكرتُ معرفتي بتدخينِه وقلتُ: (إنها قد تكون نزوة).

أرأيتِ كيفَ لم تُشعِرهُ للحظةٍ أن صورته اهتزتْ... فهو يستحيلُ أن يدخنَ... إنما أصدقاؤُه هم الذين دخنوا... وصورته هو تبقى جميلة، فلن يحاول هدم هذه الصورة في عينها؛ لذلك تَرَكَ التدخين... ثم انظري كيف لم تتفاخر بفعلها... وواصلت جميلَ الصنيع، فدافعتْ عنهُ... وقالتْ: إنها نزوة.

لا تحزني وتغضبي إن اكتشفت أن زوجك يستر عليك بعض عيوبه، فهو يحاول أن يُظهِر لك أفضل ما لديه؛ لأنك مُفضَّلة عنده، وإلا سيحاول أنْ يريك أسوأ ما لديه وما ليس لديه، فأحسني التصرف...

أشعري زوجك بإعجابك الدائم بحسناته... لأجل أن تعفيه، فلا تسعى نفسه لمعجبةٍ أخرى.

إذن قولكِ: (إنَّ الغزلَ بينكما يجعلُ زوجكِ يتخاذلُ) لا أصلَ له من الصحةِ...

ولنفرضْ كينونة تلكَ المخاوفِ التي تُقيِّدكِ... ماذا سيَحْدُثْ... فليكبر رأسه، وليصلِ السماءَ... وليطلبْ ويتمنَّ ويشتهِ... فأنت حبيبته... وهو حبيب قلبكِ...

وحين يُقصِّرُ في شيءٍ أو يهملُ واجباته؛ اهمسي في أُذُنهِ بحنوٍّ: حبيبي منذُ تزوجتكَ عوَّدتني فضلكَ وحنانكَ ولطفكَ... فابقَ كما عوَّدتني... وعُدْ كما أنت.

أرجوكَ إنْ كنتُ سببًا في تغيُّرِكَ... أو أغضبَكَ مني شيءٌ... فأنا أعتذرُ..

الزواج وُجِدَ لإظهار مزايانا وعيوبنا... إيماننا ونفاقنا... أضغاننا وسلامة صدرنا... لم يُوجَد لإرضاء شهواتنا فقط... فإذا انكشفت عيوب زوجك فتمسَّكي بمزاياكِ... فالله يسمع ويرى... ويختار منكما الأقرب والأتقى...

اللّهُمَّ ارحَمْ غُربَتي في الدُّنيا... وارحَمْ مصرعي عندَ الموتِ... وقيامي بينَ يديكَ... إلهي كيفَ يُرجَى سواكَ؟! وأنتَ ما قطعتَ الإحسانَ... وكيفَ يُطلبُ غيركَ؟! وأنتَ لَمْ تُبدِّلْ عادةَ الامتنانِ... ولا يقالُ لكَ: جُدْ... فأنتَ الكريمُ الرّحمنُ.

زمن يستحق التضحية

الحد الفاصل بين سعادة الزوج وشقائه...
هو أن تكون زوجته عونا له على المصائب...
أو عونا للمصائب عليه.

عن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «ما بقيَ فيَّ شيءٌ من أمرِ الجاهليةِ غيرَ أني لستُ أبالي إلى أيِّ المسلمينَ نكحتُ وأيهنَّ أنكحتُ»[1].

ما الذي قصدهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنه؟ أهو إلى هذه الدرجةِ مستهترٌ، المهمُ أن يتزوجَ دون أن يبالي مَن هيَ التي سيتزوجها؟! كلّا واللهِ، لأنّه قال: (أي المسلمين).

يااااااااااه يا عمر، ليتَ رجلًا في زماننا يستطيعُ أن يقولَ مثلَ هذه الجملةِ اليوم: (لستُ أبالي مَن سأتزوج من المسلمات؛ فلا فرقَ، كلهنَّ شيءٌ واحد في الأدبِ والتقوى والطاعةِ والفهمِ والتعقُّل). هل كان ذلكَ الزمانُ حقًا؟! زمانٌ لا يخافُ الرجلُ فيه أن يتزوجَ أيَ امرأةٍ مادامتْ مسلمةً! اليوم نبحث في الدينِ والالتزامِ والأخلاقِ والسيرةِ الذاتيةِ والسيرةِ العائليةِ والسيرةِ المهنيةِ، وتُخطَبُ للتجربةِ عامًا، وبعدَ هذا لا يكادُ يجدُ راحتَه التي يتمناها معها، ولكنه لا يملكُ صبرًا كي يبحث مرةً أخرى، فيتزوج راضيًا بما قضاهُ الله...

متى سيحسدُ الكفارُ المسلمينَ على زوجاتِهم؟ متى سيسلمُ الآلافُ لأنهم يتمنون الزواجَ من المرأةِ المسلمةِ التي لا يحققُ غيرُها سعادةَ الرجلِ الحقيقيةَ؟ متى ستبعثُ الدولُ جالياتٍ غربيةً وشرقيةً من النساءِ ليتعلمنَّ فنون إسعادِ الرجلِ من المرأةِ المسلمةِ؟ بدلَ أنْ ينظرَ الرجالُ والنساءُ إلى الأفلامِ الجنسيةِ القادمةِ من بلادِ الكفرِ لكي يتعلموا طرقًا جديدةً في الحياةِ التي باتت مملةً لكلا الطرفين، وتزدادُ مللًا لبلادةِ تلك الطرقِ السخيفةِ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٥٢٦٨)، وابن سعد (٢٨٩٣)؛ بسند صحيح.

التي لا تُعد جزءًا من ألفِ جزءٍ مما تستطيعهُ روحُ المرأةِ المسلمةِ.

لماذا يتردد بعضُ الرجالِ ألفَ مرةٍ قبلَ أن يخطبوا المرأةَ الملتزمةَ؟ يقولون: (ماذا نريدُ في زوجةٍ إذا قلتُ لها: تزيني، ارتدتْ ملابسَ الصلاةِ!)، وآخر يقول: (لستُ بحاجةٍ لامرأةٍ كلما اقتربتُ منها قالت لي: ابتعدْ أنا على وضوء!) لا تخرج هذه الكلماتُ إلا نتيجةَ قصصٍ مسموعةٍ وخبراتٍ مبثوثةٍ أثرت على ذهنِ الرجالِ، فأصبحوا يدعون على بعضهم: (الله يجوزكِ واحدةً شيخة).

إن حياءَ المرأةِ يحفظها من التبذلِ لغير زوجها، ولكنها تحفظُ زوجَها من الالتفاتِ للحرامِ وتعفُّهُ بجميلِ الصنيعِ وحسنِ الدلالِ. حالها:

يـــا طالبًـــا للخـــيرِ عنـــدي مثلـــه ... وتزيـــدُ عـــن كلِّ النســـاءِ فعـــالِي

فأنا التي حفظتُ حقوقَ اللهِ فيمَن حولها ... صـــونٌ مصـــونٌ للحبيـــبِ دلالِي

أيتها المسلمةُ، صيحي بحرقةٍ دفاعًا عن دينكِ، آنَ الأوانُ لنضحي كي نعيدَ ذلكَ الزمانَ الذي عاشهُ عمر. صيحي... يا مَن أرادَ السعادةَ، فليطلبها عند مَن تقيمُ الصلاةَ. يا مَن أرادَ الهناءَ، فلتبحثْ عنه عند مَن ترتدي الحجابَ. ليس بالضرورةِ أن تكوني من حفظةِ الكتابِ وحملةِ السننِ، ولا أن تكوني من علماءِ الدينِ، يكفي أنكِ مسلمةٌ تخافُ اللهَ، وليقلِ الرجالُ: (لستُ أبالي إلى أيِّ المسلمينَ نكحتُ).

إلهي لولا رحمتُك بي يا إلهي لكنتُ فريسةَ الأطماعِ، ولولا هدايتكَ لي لكنتُ سجينةَ الأوهامِ، ولولا إحسانُكَ إليَّ لكنتُ شريدةَ الحاجاتِ، ولولا توبتكَ عليَّ لكنتُ صريعةَ الآثامِ، ولولاكَ لما طابتِ الدنيا يا مولاي.

العالم مليء بالأزمات

كلُ شيءٍ في هذه الدنيا له ثمن: السعادة، الحبُ، العلمُ، النعمُ، حتى الكفن. وما أكثر المدينين!

أرى من بين القارئينَ لهذه الكلماتِ وجهًا حانقًا عليَّ ينظرُ لي، ولسان حاله يقول: يا للسخفِ! ألم يبقَ في العالم شيءٌ لتكتبي عنه سوى هذا الموضوع؟ ألا توجدُ في العالمِ أيُّ أزماتٍ ولا مصائبَ مهمةٍ؟ ألم يبقَ سوى الزوج؟ يا لها من نظرةٍ ضيقةٍ قاصرة!

اهدأ رجاءً، فأنا لم أنسَ كلَ الأزماتِ والمآسي.

أعلمُ ما يجري في العالم...

أعلمُ ما في فلسطينَ من حصارٍ وانتهاكاتٍ.

أعلمُ ما في السجنِ الكبيرِ العراقِ من معاناةٍ ودماءٍ تُراقُ.

أعلمُ بالمجازرِ والمآسي في نيجيريا، تايلاند، اليمن، والصومال.

أعلمُ ما في النيجرِ والسودان من مجاعاتٍ، وفي موريتانيا من أزماتٍ.

أعلمُ بالحربِ الصامتةِ ضدّ المسلمينَ في الفلبينَ والصين والهند، وفي كلّ بلادٍ فيها مسلمونَ.

أعرفُ عن الانقلاباتِ والمظاهراتِ والاعتراضاتِ التي اجتاحت العالم العربي بأسره فجأةً، وحصدت أرواحًا وتفشت بسببها الجرائمُ.

أعرفُ عن الجوعِ العامِّ والفقرِ المتفشي بسبب الأنظمة الفاسدة في كلِّ بلادِ المسلمينَ.

أيكفيكَ ما أعرفُه؟!

أَجِّل ذلك قليلًا وأجبني: ألديكَ جهازُ حاسبٍ في البيتِ؟... نعم لديّ واحد.

عندما تريدُ فتح الحاسبِ، هل لكلِّ قطعةٍ فيه زرُّ تشغيلٍ؟

لا، هناك زرُّ تشغيلٍ واحدٍ يُشغلُ الجميعَ.

أيعمل ذلك الزرُّ لو سحبتُ الكهرباء عن الجهازِ؟

لا، علينا أن نصلَ الجهازَ بالكهرباء.

وإذا أردتُ أن أقطعَ الكهرباء، هل أقطع كلَّ الأسلاكِ الموجودةِ في البيتِ؟

كلّا، هناك قابسٌ صغيرٌ يقطعُ الكهرباء كلها.

جميل! هذا القابسُ هو البيتُ والأسرةُ. إن ضغطَه سيوصلُ الحياةَ إلى مساحاتٍ كبيرةٍ، ولكنه لا يكفي. فهناك بعضُ الأجهزةِ لها أزرارُ تشغيلٍ مساندةٍ للزرِّ الأكبرِ، ولكن علينا البحثُ عنها ثم ضغطها. فالبيتُ هو نقطةُ البدايةِ.

لمَ لا نشعر بوجود الأزمة؟

لو خرجتَ وألقيتَ نظرةً إلى الشارعِ القريبِ منكم، سترى على الرصيفِ هناكَ أربعةَ شبانٍ؛ ثلاثةٌ جلوسٌ وواحدٌ واقفٌ يتحدثون. وهذا الواقفُ يحركُ رأسَه ويديهِ بشكلٍ غريبٍ انفعالًا مع الموقفِ، ثم يضحكون بأعلى أصواتِهم. أحبُّ أن أرى الوجوهَ السعيدةَ مع واقعنا المريرِ المؤلمِ وأعباءِ الضغوطِ الماليةِ والنفسيةِ حولنا. أدام اللهُ البسمةَ على وجوههم! فلنتركهم ولنبحث في زاويةٍ أخرى من الشارع. فتيانٌ صغارٌ متجمهرونَ يبدو الحماسُ على وجوهِهم، ونظراتُهم كلها مصوبةٌ للأرض. إلامَ ينظرون؟... آهاا!! إنهم يلعبون بالكراتِ الزجاجيةِ. ها قد دخل أحدها في الحفرةِ، والفرحُ الغامرُ بادٍ على الوجوهِ. إنهم أطفالٌ، ومن حقهم اللعبُ والمرحُ، مالهم ومالِ الدنيا ومشاكلِها؟! فلنبحثْ في مكانٍ آخر.

داخلَ المنزلِ، حيثُ يبدو صوتُ التلفازِ عاليًا، تجلسُ الفتياتُ حولَ التلفازِ يتابعنَ الكاميرا الخفيةَ والأمُ معهنَّ. إنهنَّ منهمكاتٌ في الأعمالِ المنزليةِ منذ الصباحِ، ألا يحقُ لهن أن يُرفِّهنَّ عن أنفسهنَّ قليلًا؟ ربُّ المنزلِ سيعودُ بعد ساعتين من العملِ، والغداءُ مجهزٌ سيتناولُه ويخلدُ للنومِ كي يرتاحَ، إنه متعبٌ حقًا. هذا هو عالمنا، هذه هي الأزمةُ الحقيقيةُ: أن لا نشعرَ بوجودِ الأزمةِ وننشغلَ بمشاكلنا الصغيرةِ ونعيشَ بلا هدفٍ. إن زوجةً صالحةً تحملُ هدفًا قد تُغيّرُ الكثيرَ... وتُحدِثُ المعجزاتِ بأمر اللهِ... وتُسقي أولادها حبَّ التغييرِ:

هاجرُ يتركها زوجها في الصحراء، تقول: «آللهُ أمركَ؟... إذًا لن يُضيّعنا». إنه اليقينُ. سقتهُ الجنينَ، فلما شبّ قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات: ١٠٢].

أمُّ موسى ألقته في البحر باليقينِ، فلما شبّ قال له قومه: ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]. رمتني أمي باليقينِ، وسأقطعُ البحرِ باليقينِ.

امرأةُ عمرانَ تنادي: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي﴾ [آل عمران: ٣٥] تبغي رضا اللهِ.

فلما كبرت مريمُ ابنتُها سُئلت: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧، وأنجبت مريمُ عيسى فنطق وليدًا فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠.

زوجةُ إسماعيلَ الثانيةُ الراضيةُ يمرُّ بها إبراهيمُ فيقول: «قولي لزوجكِ يُثبتْ عتبةَ داره». فتخبره فيقول: «هذا أبي أمرني أن أُمسِكَكِ». فأبشري أيتها الصالحةُ فقد وُلِدَ رسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من نسلكِ.

أمُّنا خديجةُ يأتيها نبينا خائفًا: «زملوني»، فتهبُّ قائلةً: «كلَّا واللهِ لا يُخزيكَ اللهُ أبدًا». فبشَّرها النبيُ ببيتٍ من قَصَبٍ تنعمُ فيه أبدًا، فانعمي يا نصفَ الإسلامِ، فما من شخصٍ يذكرُ اسمَ زوجكِ إلا ويقول: عليه الصلاةُ... عليه السلامُ.

ابنةُ بائعةِ اللبنِ قالتْ: «عمرُ[1] لا يرانا، ولكن الله يرانا». فكان من نسلها عمرُ آخرُ[2] يعبدُ اللهَ وكأنه يراه.

أَبَعدَ هذا من جدلٍ في حلولِ أزماتنا وبرءِ العلل؟ إنها المرأةُ القويةُ الضعيفةُ الحنونةُ اللطيفةُ بيدها جزء كبير من الحلِّ. ومَن وكلهُ اللهُ بخلافةِ الأرضِ وإصلاح أهلها ثم تنازلَ عن مهمتهِ هذه؛ حُقَّ له أن يُبشرَ بالنارِ وبئسَ القرارُ.

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ». قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا؛ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»[3].

هل عرفنا الآنَ لماذا نحنُ أكثرُ أهلِ النارِ حين نكفرُ العشيرَ؟ أعتقدُ أنَّ السببَ أصبحَ واضحًا. نكفرُ العشيرَ فيقتدي الأولادُ ويكفرون فضلَ الوالدينِ الكبيرَ، وينشغلُ الجميعُ مع كثرةِ المشاكلِ عن الربِّ القديرِ، فيُعَقُّ الربُّ ويُعَقُّ الأمُ والأبُ، ويكفرُ بعضنا ببعضٍ ويلعنُ بعضنا بعضًا، والنهايةُ غضبٌ من اللهِ. فعفوكَ يا اللهُ.

إلهي، إنْ طاردَنا شبحُ المعصيةِ، فلنلوذنَّ بعظيمِ جنابك... ولئنِ استحكمتْ حولنا حلقاتُ الإثمِ، فلنفكَّنَّها بصادقِ وعدكَ في كتابك... ولئنِ انتصرَ الشيطانُ علينا لحظاتٍ، فلنستنصرنَّ بكَ الدهرَ كلَّه.

---

(١) هو ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) هو الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩).

زوجي لا يستحق

ما بكِ حبيبتي؟ أرى دلائل الحزن بادية على وجهكِ. إن كنتِ ترغبين في التحدثِ إليّ، فأنا أستمعُ.

قالت: زوجي سيئٌ لا يستحقُ مني تعبًا. إنه (كذا ويفعلُ كذا ولو رأيته عندما...) لذلكَ لنْ أبالي به ولنْ أقدمَ له ما يحبُّ. إنكِ حين تعملينَ لمَن لا يقدّرُ ولا يستحقُّ، تشعرينَ بأنكِ بلا قيمةٍ. ثمّ لا أظنُّ حوراءَ ستطلبه كي أنافسها عليه... فهو ضالٌّ غير صالحٍ... لا يمسك مصحفًا... ولا يدخل المسجد... يصلي متأخرًا في البيت... ولم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين... فهو بنظره كل أفعاله صواب.

إن صدقَ وصفكِ، فأعانكِ اللهُ. مثلُ هذا الزوجِ لا نسألُ اللهَ سوى أن يهديهِ ويعيذنا منه ومن شرورهِ. ولكنْ أريدُ أن أخبركِ أمورًا يجبُ أنْ تكونَ مركوزةً في ذهنكِ:

أولًا: قولُ الله: ﴿**ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ**﴾ [فصلت: ٣٤] قاعدةٌ لا تنفكُ في تعاملنا مع أيِّ إنسانٍ. فليسَ مع الإساءةِ إلينا سوى الإحسانِ منا، فلا يجوزُ أن نسيءَ حينَ يسيءَ الناسُ.

ثانيًا: إنَّ الزواجَ شركةٌ، شقاءُ طرفٍ منها يعني شقاءَ الجميع. قال الله: ﴿**وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ**﴾ [الزخرف: ٣٩]. فإن تسببتِ بعُشرٍ واحدٍ في شقاءِ زوجكِ، ستذوقينَ مثلهُ من الشقاءِ. وإن تسببتِ في إسعادِ زوجكِ بعُشرٍ، ذقتِ من السعادةِ مثلهُ. فقدمي ما تحبينَ أن تجديهِ.

ثالثًا: قد تصلُ المرأةُ إلى المرحلةِ التي سمّاها الله: ﴿**فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ**﴾ [البقرة: ٢٢٩]. لنْ تَستطيعي طاعتهُ، لا تُطيقينهُ، تتمنينَ قتلهُ. وطالما أنكِ معهُ فلنْ تؤدي حقهُ وطاعتهُ أو ما سمّاهُ ربنا حدودَ اللهِ. فافعلي ما فعلتْ امرأةُ ثابتٍ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً»[1].

وتأمَّلي لفظَها: (الكفرُ بعد الإسلامِ). فإما الطاعةُ والاتفاقُ وإما الخلعُ والطلاقُ. لا سببَ يُجبرك على معصيةِ اللهِ.

ولكن إن اخترتِ البقاءَ معهُ، فيجب عليكِ السمعُ والطاعةُ – حدودُ اللهِ – ولا بديلَ آخرَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. وإن اخترتِ الفراقَ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]. أتمنى أنّ مشكلتكِ حُلّت بإذنِ اللهِ.

فضل الزوج وألم العنوسة...

ولكني أريدُ أن أهمسَ لمن تكفرُ العشيرَ لأجلِ كرامتِها، ولأجلِ راحتِها، ولأجلِ إثباتِ شخصيتِها ورجولتها إن صحَّ التعبيرُ: أنسيتِ من هو هذا العشيرُ؟ أنسيتِ فضلَهُ عليكِ وكيف كانتْ حياتكِ قبلهُ؟ لعلكِ لا تذكرينَ؛ لأنَّ الإنسانَ هوَ هوَ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧].

اذهبي واسألي بنتًا لمْ يرزقْها اللهُ الزوجَ كيفَ تعيشُ. كلما شكتْ لي إحدى زميلاتي ما تلقاهُ من ألمِ العنوسةِ – وكم عينٍ دمعتْ على صدري... وكم صدرٍ بُثَّ ما فيه بين يديّ – فكأن بعضَ الزفراتِ نيرانٌ ملتهبةٌ. فأُصبِّرها وأقول لها: باللهِ، إن عدتِ للمنزلِ اكتبي كل ما تشعرينَ به من ألمٍ في ورقةٍ، ثم ضعي عليها اللاصقَ كي لا تتلفَ مهما طالَ الزمنُ. وإذا رزقكِ اللهُ الزوجَ فاقرئيها كل شهرٍ كي لا تنسَي فضلَهُ عليكِ وحقَهُ الواجبَ في ذمتكِ. وإذا كبرتِ وأنجبتِ فاقرئيها كي لا تجعلي أولادكِ يعانونَ كما عانيتِ بحجةِ دراسةٍ أو صغرِ سنٍّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٧١).

لن تشكركِ ابنتكِ على الشهادةِ حين تعيشُ بلا زوجٍ، بل قد تكرهكِ. وأعلمُ فتياتٍ يتجرأن على أهاليهنَّ قائلات: (أنا أكرههم! يتمتعونَ كما شاءوا كل ليلةٍ ونحنُ نحترقُ وحدنا دونَ أنْ يشعروا). بل إنَّ بعضهنَّ صارحتني أنها تكرهُ الجلوسَ مع كلِّ المتزوجاتِ حتى أمِّها؛ لأنها تشعرُ أنَّهم بلا مشاعرَ. حالُ الجميعِ كحالِ القائلةِ في زمنِ عمرَ عندما اشتاقت زوجها:

تطاولَ هذا الليلُ واسودَّ جانبُه وأَرَّقَني أَنْ لَا خليلَ أُلاعبُه[1]

وكما أقولُ لكلِّ مَنْ لمْ تتزوجْ بعد، هذه المرأةُ جاءَ لها بزوجِها سيدُنا عمرُ، ولكنكِ تطلبينَ الزواجَ منْ ربِّ عمرَ وخزائنُ اللهِ ممتلئةٌ؛ فأسألُ اللهَ أنْ يعجِّلَ لهنّ بالفرجَ.

تحدي الحوراء..

أيتها المتزوجةُ، لا تقولي علوًا وكبرًا: (أنا غنيةٌ عنهُ وعن عشرةٍ مثله). وهذا مما تجدهُ في ثلثيّ النساءِ. أحبي زوجكِ لفضلهِ عليكِ. إنْ لم تحبيهِ فاعدلي معهُ. وإنْ لم تعدلي فاستحي منهُ. قال الجنيد رحمه الله: «الحياءُ رؤيةُ الآلاءِ، ورؤيةُ التقصيرِ؛ فيتولدُ بينهما حالةٌ تسمى الحياءَ». وما قدمهُ الرجلُ كبيرٌ، فما كلُّ هذا التقصيرِ؟

إنْ لم تريه كبيرًا... فلا تلومي مَن يقول عنكِ أنتِ أيضًا: إنَّكِ لم تُقدِّمي شيئًا يُذكَر... وجحد فضلكِ... فلا يعترف بفضل الآخرين إلا سَوِيُّ النفس، كما حفظتُ من أبي -رحمه الله-: (إنما يعرف الفضلَ لأهلِ الفضل... أهلُ الفضل).

فلنبدأ التحدي مع الحوراءِ، وعلينا قبلَ التحدي أن نتعرَّفَ إلى منافستنا وصفاتِها؛ كي نعرفَ ماذا علينا أن نقدمَ كي نتغلبَ عليها.

أختي، ضعي في الحسبانِ أنني لا أكرهُ الحوراءَ بل أحبُّها، فهي من أسبابِ سعادةِ زوجي... إنْ كان صالحًا وأَرضَى ربَّه، وكلُّ ما يُسعِد الصالحين يسعدني... ولكني مثلكِ لا أرضى أن يسبقني في إسعادِه أحدٌ.

---

(١) وردت هذه القصة باختلافات واضحة، وممن ذكرها البيهقي في «سننه» (١٧٦٢٨)، وعبد الرزاق (١٢٥٩٤)، وسعيد بن منصور (٢٤٦٣)، فأرجو الرجوع إليها هناك.

إنما يتم لك حُسن الخُلق بسوء أخلاق الآخرين...

إن الإنسان، مع كل العلوم التي توصل لها، لا يستطيع أحد أن يتنبأ بتصرفاته وانفعالاته. هو كائن اجتمعت فيه عوالم لا يعلمها إلا الله وحده، فهو من يعلم بخفايا نفوسهم وما أخفته الصدور ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. لذلك، لو أرادت امرأة أن تعلم كيف يجب أن تكون كي يحبها زوجها، وسألت كل أحد، فلن تصل إلى الوصف الدقيق. ولكن لو سألنا الله سبحانه، فهو يعلم الوصف الذي يحبه الرجال الصالحون كي نكونه.

لكن كيف نعلم ذلك؟ لا توجد آيات تصف الزوجة المحبوبة في عين كل رجل!

بلى، لقد وصف الله لنا امرأةً جُعلت ذات صفات محبوبة لكل رجل، وجعلها الله جزاءً لعباده الصالحين، إنها الحوراء. أيُعقل أن يجازي الله عباده بشيء يكرهونه؟ عندما كنت أقرأ وصف الحور في كتاب الله، كنت أتساءل: أليس القرآن لكل الناس رجالًا ونساءً؟ فكيف لآية فيها وصف الحوراء أن تفيدني بوصفي امرأة؟ هي تفيد الرجل بأن تزيد همته كي يستحق أن ينال مثلها ويسعى لطلبها بالغالي والنفيس، ولكن ماذا أستفيد أنا؟! أنا لن أتزوجها ولن أطلبها. دعوت ربي أن يلهمني ذلك، فقلت: إن لم أعمل لها، فيريدني الله أن أعمل مثلها، فجعلها قدوة لكل زوجة وحبيبة. هل فكرتِ بذلك؟

ابتكار الحب لا تقليده...

أَعجبُ من نساء زماني اللاتي يشاهدنَ بين الفينة والفينة بعض الأغاني المصورة (الكليبات) كي تتعلمَ من عارضات الشاشات فنون الحب. أنا لستُ بحاجة لنساء الأرض كلهنَّ، فعندي حوراء الجنان أقتدي بها. وكنت ولا أزال أقول إن المرأة قد تتعلم منهن بعض الفنون، ولكن شتان بين المرأة المقلدة والمرأة المبتكرة المبدعة!

يخرج زوج المرأة المسلمة للعمل، فتبدأ بالتفكير: (كيف أسعده اليوم؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟) وتفكر وتفكر حتى تخرج بفكرة جديدة تفاجئ بها زوجها وتنال هي ثمارها حبًا منه وسعادة. إن المرأة التي تتعب في ذلك وتُشعر زوجها بأنها لا تفكر سوى بسعادته امرأة لا يملك الرجل تجاهها سوى أن يكون لها كل ما تحب. والرجال رائعون... يرضون بالقليل من ابتكاراتك ما دامت دائمةً غير متباعدةٍ، المهم أن يشعر أن الاهتمام به أمر لا تغفلين عنه. ولكن حين يشعر بأنكِ أهملتِه، لا يرضى لا بالقليل ولا بالكثير.

قد يقولُ رجلٌ: (لا داعي للتعبِ، فلا مقارنةَ بينكنَّ ولنْ تَكُنَّ مثلَها مهما فعلتنّ).

أشكرُ ملحوظتكَ أخي، فنحنُ حقًّا مملوءاتٌ بالعيوبِ مثلكم، وهي أنشأها اللهُ كاملةً بلا عيوبٍ. ولا نملكُ أن نكونَ مثلَها. ولكن حتى هنا في الدنيا عندَ كلِّ شخصٍ أشياءٌ لا يملكها الآخرونَ، وعند كل امرأةٍ ما يميزها عن الأخرياتِ. وليس البأسُ والسعي لنيل ما لا نملكُ، ولكننا نريدُ أن نقدمَ ونكتشفَ كلَّ ما نملكه وكلَّ ما نستطيعه... كي ننالَ ما تناله الحوراءُ. نريدُ أن ننالَ أثمنَ ما تتمناه كلُّ مُحِبَّةٍ... أَنْ يشكر لها ربها ويسعدها... كما رسمت السعادةَ على وجهِ زوجِها الحبيبِ..

فلنبدأ بعرضِ صفاتِها كي نتعلمَ منها، كيفَ وصفها اللهُ في القرآنِ. لنبدأ بذكرِ كلِّ الآياتِ التي تحدثت عن الحورِ ونفصلَها آيةً آيةً...

ذكر الحور العين في القرآن الكريم:

١. قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦].

تخيَّلي زوجَكِ الآن جالسًا في ذلكَ المقامِ الذي يجب أن يكونَ حالُه كحالِ بيتكِ. مكانٌ يأمنُ فيه الرجلُ، فلا يخافُ من غدركِ، ولا انقلابِ مزاجكِ، ولا من ساعةِ غضبكِ، ولا من ألَّا ينالكِ. فهو آمنٌ مستريحٌ (في جَنَّاتٍ)، يكفيه بعضُ الزرعِ والزهرِ الذي تزرعينَه في

المنزلِ، مع عطورٍ وطيبٍ تُضفِي على المكانِ رائحةَ الجنانِ. (وَعُيُونٍ) لن تحفري بئرًا في المنزلِ، ولكنْ قد تُحضِرينَ ذلكَ المنظرَ للنافورةِ بحجمٍ صغيرٍ كي يكونَ رخيصًا، وتشغِّلينه كي يُصدرَ صوتَ الخريرِ المريحِ، وهو منتشرٌ هذه الأيامِ، والأحجامُ الصغيرةُ منه غيرُ مكلفةٍ. إن الماءَ وصوتَه يُهدئُ الأعصابَ كثيرًا. إنْ لمْ تشتريه، فيكفي أن تُجهِّزي لزوجكِ إبريقَ ماءٍ به بعضُ البرودةِ في الصيفِ (يعني: ليس من الثلاجةِ ولا من الصنبور)، إنما تُعدِّلينَ حرارتهُ بيديكِ؛ كي يغسلَ وجهه ويديهِ، فينتعشَ بعدَ تعبِ يومِه. وتُجهِّزي إبريقًا دافئًا في الشتاءِ؛ كي يخفَّ ما يشعرُ به من بردِ الخارجِ ويتفتحَ وينشرحَ، عوضًا عن العيونِ...

قيِّمي بيتك بتقدير (من ١ إلى ٧)... حدِّدي كم نسبة الأمان والهدوء الذي تحرصين على تحقيقه في وجود الزوج... علمًا أن (١) تساوي نادرًا... و(٧) تساوي أغلب الأسبوع...

﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ لن يلبس زوجك السندس في الدنيا، ولكن أنتِ وهو تلبسان الجميل والمريح من اللباس. فعليكِ أن تكوني قد ارتديتِ ثوبًا مناسبًا ومُرتَّبًا قبل حضوره. كما تُعِدِّين له ما يريحه من اللباس، وتعينينه على ارتدائها لمزيدٍ من الاعتناء به. ثم تجلسين قبالته، لا بجانبه ولا خلفه، بل أمامه. ولا تغادرين المكان للمطبخ، أو للتحدث طويلًا على الهاتف. بل (مُتَقَابِلِينَ) كي يتمتع بجمالكِ وزينتكِ من كلِ جهةٍ دون تعب.

قيِّمي اعتناءك باللباس المرتَّب بتقدير (من ١ إلى ٧)...

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ تأمَّلي لفظ (زوجناهم) إنه الله الذي يعلمُ ما سيكون في صدر الرجل بعد ذلك. لن يملك الرجل إلا أن يستشعر مِنَّة الله عليه أن وُهِبتِ له. إن قول الرجل: (تزوجتك) لا يحملُ تلك المعاني التي يحملُها قوله: (زوَّجني الله إياكِ). ولن يقول الثانية إلا عندما يكون مرتاحًا معكِ أشدَّ الراحة. فدَعِي الرجل يستشعر فضل الله ومِنَّته، وأنكِ أكبر نعمة في حياته.

قيِّمي استشعارك أنَّ الله زوَّجكِ وأَمَّنكِ على هذا العبد بتقدير (من ١ إلى ٧)...

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ بعد ذلك تُقدِّمين له الطعام الذي لم تُحرميه

لمساتكِ الفنية الخفيفة وغير المكلفة لمزيد من اعتنائكِ به. وانظري قوله (آمِنِينَ) لن يتوقَّع أن ترديه مهما طلب، أو أن يأتي يوم لا تُعِدِّين فيه ما يأكله، فهو آمن سعيدٌ بكِ مع كل هذه السعادة التي سيراها في بيتكِ.

قيِّمي اهتمامك بالطعام وتنويعه وتزويقه دون تبذير بتقدير (من ١ إلى ٧)...

هناك ميزة لا تستطيعين التحلِّي بها موجودة عند الحوراء: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، وذلك كي لا يَرْكَنَ الرجالُ للدنيا، ويعلموا أن النعيمَ يزول، والشقاءَ يزول، فيبقوا في جدٍّ لِمَا لا يفنى. وأنتِ لم تفعلي كل ذلك إلا طلبًا لذلك النعيم. جمعكِ الله وزوجكِ هناك؛ منعمين هانئين.

قيِّمي تذكُّركِ للموت والجحيم والصبر على المشقة القليلة لأجل النجاة الطويلة بتقديرٍ (من ١ إلى ٧)...

هيا ننتقل لآيات أخرى...

٢. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۖ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ١٧-٢٠].

لن أعلق كثيرًا سوى على لَفْظَتَي (فاكهين) و(هنيئًا) والآية الأخيرة.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ بمعنى متلذذين. اعلمي أن الرجل قد يكون متزوجًا من سبعين سنة دون تلذُّذ ولو لمرةٍ! كي نفهم ذلك، أُوضِّح بمثال: نحن نأكل كل يوم وجبة واحدة على الأقل، سنأكل لأننا جائعون. سيكون على المائدة طبقك المفضل الذي تحبينه وأطباق أخرى. لأنك تحبين طبقك ستأكلينه بشهيةٍ أكبر من الأطباق الأخرى، وقد لا تتناولين غيره. هذا ليس تلذُّذًا. تخيَّلي أن أحدهم سكب سُمًّا داخل هذا الطبق وأخبركِ، ستتوقفين عن أكله بالتأكيد. ولكن هل ستتوقفين عن الأكل بعدها بالكلية؟ كلَّا، ستأكلين من أطباق أخرى؛ لأنكِ محتاجة للطعام وتشعرين بالجوع.

إنَّ التلذذ ألَّا يكون الإنسان جائعًا، وأن يكون الطعام محبوبًا له جدًّا، وفوق ذلك لا يحتاج غيره، فهو منتهى حاجته، وهو كل يملك، وهو كل ما يريد، ولا يريد بعده شيئًا. عندها فقط يكون تناوُل الطبق تلذُّذًا. كل ما في الجنة له هذه اللذة، فلا حاجة لك بشيءٍ، وكل ما فيها محبوب، وكل ما فيها هو أقصى ما يتمناه الإنسان، ولا حاجة له بغيره. اللَّهُمَّ ارزقنا جنتك يا كريم.

ولكن ماذا نستفيد من ذلك؟ هذا يعلمكِ أن تهتمي بزوجكِ عند حاجته الخاصة، قبلها وأثناءها وبعدها؛ كي يذوق طعم اللذة، لا طعم الحاجة فقط.

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ لا تنغيص فيه. واللفظ يُعلِّمك أن تنتقي كلامك مع زوجك، فلا تُحدِّثيه إلا بما يفتح شهيته، وتبتعدين عما يقتل رغبته.

قيِّمي اهتمامك بتلذُّذ زوجك وهنائه أثناء الحاجة بتقدير (من ١ إلى ٧)...

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ إن الرجل لا يتكئ إلا إنْ كان مستمتعًا بالحديث الذي تحدثينه به. فإن كان الحديث مزعجًا مُوَتِّرًا جلس، وإن كان مملًّا استلقى. فتكلمي بماتع القصص والأخبار؛ كي يتكئ ويرتاح. لا تكوني سخيفةً، لا جديد لديكِ، ولا أخبار إلا أخبار أم مسعود وأم عبود. افتحي الكتب، طالعي، تثقَّفي، تكلمي عن الغرائب والعجائب. وأجمل الحديث أن تتحدثي أنتِ عنه، عن صفاته، وجمال طَلَّتِه، وسرورك برؤيته، وأمنيتكِ بدخول الجنة معه... فتحدثي..

قيِّمي اهتمامك بأن يكون الكلام ممتعًا لزوجكِ.. مُسعِدًا له.. جديدًا على سَمْعه.. بتقدير (من ١ إلى ٧)...

﴿سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ حافظي على ترتيب الغرفة، وصفِّفي حاجاتها بترتيبك الأنيق ما استطعتِ. وليقل زوجك عندها: (سبحان مَن زوَّجني منكِ).

قيِّمي اهتمامك بترتيب الغرفة التي يكون زوجكِ فيها بتقدير (من ١ إلى ٧)...

٣. قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٦-٥٨].

قاصراتُ الطرفِ. اللّٰهُمَّ اجعلني مثلهنَّ. امرأةٌ لم تنظر لا بعينِ بصرها ولا بعينِ قلبها لرجلٍ غيرِ زوجِها، لا قبلَ الزواجِ ولا بعده. فهو كلُّ الناسِ، وكلُّ الرجالِ، وكلُّ شيءٍ في دنياها ما دام حلالها. ما أجملَ أن تسيرَ المرأةُ في الشارعِ قاصرةَ الطرفِ، لا تنظرُ إلى أي رجلٍ، بل تعيشُ كأنها لا ترى رجالًا. فهي لا ترى غيرَه، ولا تفكرُ في سواه، ولا يشغلُها شيءٌ دونه.

علينا أن نربي بناتنا على هذا منذُ الصغرِ. عندما لبستُ النقابَ وكنتُ صغيرةً، كنتُ أُسأل: (لماذا تلبسينه؟) فأقول: (أنا أؤمن أن الله كتبَ في اللوحِ المحفوظِ أني لزوجٍ واحدٍ، لن أنظرَ لسواه، ولن ينظرَ إليَّ أحدٌ غيرُه).

فلنُعوّدْ بناتنا هذهِ المعاني، ولنغرسْها في قلوبهنّ الصغيرةِ التي باتت تبحثُ في كل يومٍ عن ألفِ نظرةٍ من هذا وهذا، متمنيةً أن يمدحَ جمالَها أحدٌ. فما يأتي وقتُ زواجِها إلا وقد باتت مُستهلكةً مُهلِكةً. فأينَ المرأةُ الثمينةُ؟ أينَ الياقوتُ والمرجان؟ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. لا بأيِّها ربنا نُكذِّب. سبحانك ربنا وتعاليت.

قيِّمي عفتك.. وأَنْ تكوني لزوجكِ.. كما تتمنين أنْ يكون مكتفيًا بالحلال فقط.. لا ترين غيرَه.. ولا يراكِ غيرُه...

٤. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[الصافات: ٤٨-٤٩].
وقال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٢-٢٣].

في زماننا الذي لم يَعُد فيه مجالٌ للحياءِ على الشاشاتِ... إنَّ قاصرةَ الطرفِ لا تنظرُ لا لمجونٍ ولا لرقصٍ ولا لفحشٍ، وهي الأسعد في زواجها. ومَن تمتَّعَ بالحرامِ لن يشبعَ بالحلالِ. لذلكَ نقولُ في دعائنا: اللّٰهُمَّ أَغنِنا بحلالكَ عن حرامكَ).

قال الشاعر:

من القاصراتِ الطرفِ لـو دَبَّ مُحْـوِلٌ ... مـن الذرِّ فـوقَ الخـدِّ منهـا لأَثَّـرَا

مُحْوِل الذرّ: صغير النمل الذي لا يكاد يُرَى. يقول الشاعر: إنه يُؤثِّر بها إنْ سار على خدِّها فيحمرَّ مثلًا؛ لرقتها. وهذا بعض معنى (بيضٍ مكنون). فكأنها لُبُّ البيضِ، محفوظةٌ بقشرها، أو لؤلؤةٌ بيضاءُ محفوظةً بصَدَفتِها، وهو بيتها. فهي داخلَ القشرةِ رقيقةٌ صافيةٌ لا يصلُها ما يُلوّثُها ولا يُلوّثُ أخلاقَها. تستحي لعفافها... ومع هذا تُطلَب لشدة حبِّها. اللّٰهُمَّ اجعلنا كقاصرات الطرفِ عفيفاتٍ.. يا أكرمَ الأكرمين...

قيِّمي حرصك أَنْ يغنيك الحلال عن كل الحرام وكذا لزوجك...

٥. قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٧٠-٧١].

عندما يقدمُ أحدٌ ما معروفًا كبيرًا لنا أو يُحسنُ معنا، نقولُ في العادةِ: (جزاه الله خيرًا) و(والله فيه الخير). إن كان في المحسنينَ خيرٌ، وكان في الكرماءِ خيرٌ، وكان في العلماءِ خيرٌ، وكان في المتصدقينَ خيرٌ، وكان في الرحماءِ خيرٌ؛ ففيهنَّ خيراااااااااات. فتباركَ الذي سوَّاهُنَّ، وجعلنا الله مثلهنَّ.

ففيكِ خيرٌ وخيرٌ وخيرٌ لا ينقطعُ عن حبيبِ قلبكِ مهما كان. إن غضبَ فخيرةٌ تُهدِّئه... كما هدَّأ هارونُ موسى، وإن شتمَ فخيرةٌ تنصحه... وتُذكِّره بالملكين والله السميع، وإن أهملَ فخيرةٌ تُذكِّره بواجباته بمَرَحٍ... كي لا تُعِين الشيطان عليه فيَكسل أكثر، وإن قصَّرَ فخيرةٌ تصبر... وتقول: لعلَّ الله يغفر تقصيري بتقصيره. تُسامحُ وتُرقِّعُ وتُتمِّمُ وتَلمُّ وتُصلحُ... دون أن تكونَ مجبرةً أو مذلولةً. فهي حسناءُ لا تنسى جمالها وأناقتها... ومُربِّية يتمنى كُلُّ رجلٍ أن تكون أمًّا لأطفاله، قد تجدُ إن طُلقت ألفَ راغبٍ، ولكنها من الخيرِ الذي فيها لا تستطيعُ إلا أن تكونَ خيرةً معهُ لأبعدِ الحدودِ.. كثيرٌ من النساءِ إنْ أهانها زوجُها أو ضربَها... في غضبٍ نادرٍ ليس من طَبْعه... وأنا لا أنكرُ أنَّ ذلك أليمٌ في نفسِ المرأةِ أشدَّ الألمِ... تقولُ بعضهنَّ: (مَن يظنُّ نفسه لتمتدَّ يدهُ عليَّ؟! أستطيعُ الزواجَ من سيدِ سيده!) الخيرةُ لن تقولَ ذلك... الخيرةُ تقولُ: (غفرَ اللهُ له... أخشى أنْ تكتبها الملائكةُ في دفترِ سيئاته... اللّٰهُمَّ اعفُ عنه... حتى أنا أحيانًا أغضب على أولادي وأضربهم... ولا يعني ذلك أنني سيئة)... وتحاول أنْ تتجنَّب الذي أوصله لذلك الغضب الشديد ثانية.

قيِّمي الصفات الخيرة فيكِ... الصفات التي تفيد في استقرار البيت ولَمِّ شَعَثِه... كلما أراد الشيطان أن يهدمه (الحلم... الصلح والاعتذار... والرضا السهل... وما شابه ذلك).

٦- قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝٣٤ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٤-٣٨].

النساءُ مُمَدَّاتٌ على الأرائك. ولكن أيُّ النساءِ هُنَّ؟ نساءُ الجنةِ أم الحورُ؟ فإن كان الأول، فمعنى ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ هو إصلاحُ كلِّ عيبٍ فيهنَّ، فلو كانتْ عجوزًا شمطاءَ زاحفةً أو كانتْ شوهاءَ قبيحةً أو ثيبًا أو مهما تكنْ، يُعيدُ الله خلقهنَّ حتى يتساوينَ في السنِّ والجمالِ ويَعُدنَ أبكارًا. وإن كنَّ حورَ الجنةِ، فذلكَ كقولِ اللهِ: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة: ٨٩]، فهو لبيانِ كمالِ هذا المخلوقِ الذي أعدَّهُ اللهُ أو أنشأه بنفسِه سبحانه. ولكننا في كلِّ الأحوالِ لا نستطيعُ إصلاحَ ما خُلقنا عليه، ولا أن يجدنا أزواجُنا أبكارًا كل مرةٍ، فهذا مما اختُصصْنَ به... وحرم الله علينا عمليات التجميل للحسن... فكل ما يمكننا إصلاحه أن نبقى بنفس صفات البكر حييات مُحبَّات مَرِحات لَعُوبات.

قيِّمي روحكِ... هل هي روح شابة مَرِحَة أم عجوز كئيبة؟؟

﴿عُرُبًا﴾ هُنَّ المتحببات الغَنِجات العواشق. كلمة (عربًا) تحملُ آلافَ الدروسِ. أنقلُ كلامَ الألوسيِّ في هذا البابِ بتصرفٍ:

(عربًا) مُتحبِّباتٍ إلى أزواجِهنَّ... وفسَّرها جماعةٌ أخرى بغَنِجَاتٍ، ولا يَخفَى أن الغَنْجَ ألطفُ أسبابِ التحبُّبِ. وعن زيد بنِ أسلمَ: العَرُوبُ الحَسَنةُ الكلامِ. وفي روايةٍ عن ابن عباسٍ والحسنِ وابنِ جبيرٍ ومجاهدٍ: هُنَّ العواشقُ لأزواجهنَّ... وفي روايةٍ أخرى عن مجاهدٍ: أنَّهنَّ الغَلِمَاتُ اللاتي يشتهينَ أزواجهنَّ... وقال إسحاقُ بن عبدِ اللهِ بن الحارثِ النوفلي: العَرُوبُ الخَفِرةُ المتبذِّلةُ لزوجها[1]. والخفرُ شدةُ الحياءِ... فهي مع غيرِ زوجِها كأنها لم تعرفِ الرجالَ ولم ترهم قبلًا، تستحي وتخجلُ وتتستر. فإذا خَلَتْ بزوجها مكَّنتهُ مما

(١) «روح المعاني» عند تفسيره للآية الواردة.

يريدُ وفعلتْ كل ما أمكنَ كي تُحققَ عفَّتهُ. أنا لا أطالبُ المرأةَ بذلك في أولِ شهرٍ وحتى شهرين، ولكِنْ لا يجوزُ أن يستمرَّ الحياءُ للأبدِ، فإن التمنُّعَ الطويلَ يتعبُ الرجلَ ويُمِلُّهُ.

قد يقولُ رجلٌ: (إنَّ استحياءَ المرأةِ حتى مع زوجِها جميلٌ ويشدُّهُ لها).

أقول: بل هو من أقوى المحفزاتِ ولا شكَّ، ولكنه يكونُ في الابتداءِ ومن بابِ الدلالِ لا من بابِ التضجّرِ والتمنُّع. ولكنْ إذا جدَّ الجدُّ، فلكلِّ حادثٍ حديثٌ. ومن بارزكَ بارزهُ، ومَن طلبَ طعامكَ فأشركهُ وزوِّدهُ، ومَن سألكَ على قَدْرِ إنائِهِ الصغيرِ فأعطِهِ على قَدْرِ وعائكَ الكبيرِ. فالحياءُ هناكَ حياءٌ في غيرِ موضعِه. فالحياءُ يكونُ مع غيرِ الزوجِ في الخارجِ على الطرقاتِ.

قالت الداعية في مجلس وعظٍ: (إن المسؤوليةَ التي تحمِلها المرأةُ في زمانِنا عظيمةٌ مع الفتنِ المنتشرةِ. علينا أن نواجهَ هذه الفتنَ بأن نُحسنَ التبعلَ لأزواجنا. البسي لزوجكِ ما تلبَسهُ فتياتُ اليومِ، وأحسني الكلامَ والدلالَ. ما المانعُ أن تمتشطي وتضعي دبوسًا رقيقًا في شعركِ من الجهتين كنوعٍ من التغييرِ، بدل أن تبقي بذاتِ الشعرِ!).

كانت في المجلسِ امرأةٌ عجوزٌ فقالتْ بلهجتها العامية: (يا ويلي!! شو بدك أبو فلان يحكي! انجنت المرة وانهبلت! شو ألبسله وما ألبسله! والله هالدشداشة وهالمنديل ما بشلحهن قدامه. بدها نتموض ونحط دبابيس! هو إحنا بايعين الحياء بتعريفة؟). قالت لها عجوز أخرى: (يا حسرة! وكيف جبتي أولادك التسعة؟) فأجابتها: (هذا بالليل والضو مطفي)... لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

هذه حالةٌ نادرةٌ بالتأكيدِ، ولا تُعَدُّ ظاهرةً لأقصِدَها ببحثي. ولكنَّ كثيرًا من النساءِ تستحي أن تقولَ كلامَ الغزلِ لزوجِها، وتستحي أن تُبديَ شوقَها له أو رغبتَها. وقد يطلبُ زوجُها أمرًا حلالًا فلا تجيبهُ حياءً. عوِّدي نفسكِ برفقٍ قليلًا قليلًا على كلِّ ذلكَ، فإن ذلكَ سيُسعدُ زوجَكِ وسيسعدكِ... جرِّبي.

قيِّمي قدرتك على التعبير عن الحبِّ والشوق...

٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ: ٣١-٣٣].

(الكاعب) مَن تَكَعَّبَ ثَدْيُها، أي: صار كالكعب، أي: استدار ونتأ[١]. أي: برز، فليس صغيرًا لا يتحركُ لصغره، وليس كبيرًا جدًّا انكسر لثِقله، فهو ممتلئٌ مستديرٌ غير منكسرٍ. وهذا لا تملكه كلُّ امرأةٍ. ولكننا نتعلمُ منه أن نحافظَ على قوامنا وأجسادنا، فلا عظمٌ ولا شحمٌ.

نحنُ نعلمُ أن السمنَ عيبٌ لا يَشُكُّ أحدٌ في كونه كذلك.. إنْ كان بسبب الإهمال.. لا الحمل والأمراض.. ولكن كلما ازددتِ كيلًا، أَدِّبي نفسكِ على خلقٍ وجمالٍ جديدٍ لم تكوني قد ملكتيه من قبلُ. مثلَ: التبسم.. طلب الإذن.. استقباله عند الباب.. الطاعة عند الكسل.. المرح.. الدلال.. الاعتذار.. الشكر على صغائر الأمور.. التزين بالحناء.. تغيير قَصَّة الشعر بما ليس فيه تشبُّه بالكافرات.. وغيره.. كالمحلات التجارية تضع هدايا مجانية زائدة لتُحسِّن بضاعتها للراغبين.. ونحن نَذَرنا أجسادنا للحلال... فلنُحسِّن قَدْرَ المستطاع.

قيِّمي اعتناءك بجسدكِ وقُوَامكِ ما أمكن...

٩. قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

يا لها مِن بُشرَى! اللَّهُمَّ اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. ومع أنَّ هذه الآيةَ لا تتحدثُ بالخصوصِ عن الحورِ، فللرجلِ زوجةٌ مطهرةٌ وللمرأةِ زوجٌ مطهرٌ. ولكنْ ما دامَ في الجنةِ، فهو وصفٌ يهمُّنا.

حيث لا نجاسةَ فيهنَّ -فلا بولٌ ولا حيضٌ-، ولا قذارةَ -فلا مخاطٌ ولا عرقٌ-، وهو ما لا نستطيعُ أن نملِكَهُ. ولكنَّ الآيةَ تعلِّمُنا أن نحافظَ على نظافَتِنا ما استَطعْنا وطهارتِنا

---

(١) ابن الأثير في «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر».

دائمًا. وأن نَتجنبَ كلَّ ما مِن شَأنه جلبُ التقزز على الحقيقةِ، كوجودِ العرقِ أو التنخمِ أو الجشاءِ أمامَ الزوجِ. وعلى غيرِ الحقيقةِ، كالحديثِ عن أمورٍ مقززةٍ ومقرفةٍ... فكوني متطهرةً ما استطعتِ، حبيبةَ القلبِ.

قيِّمي طهارة فمك وجسدك من كلِّ مُقزِّز...

كتبنا لك (١٥) تقييمًا إنْ كان أكثرها مرتفعًا... فأنتِ حقًّا كَنزٌ حقيقيٌّ... ومُنافِسةٌ قويةٌ للحوراء... استمري... فالله يرى.. ويعلم.. ويسمع..

خير النساء عند الله..

انتهينا من صفاتِ الحورِ في الجنةِ، ولا بد لنا من الوقوفِ على آيتينِ في كتابِ اللهِ لا غنى لكلِ صالحةٍ عنهما:

قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥].

إنَّ لفظَ (المرأة الصالحة) هو حلمُ كلِّ فتاةٍ مسلمةٍ. إن الله يصف الصالحةَ هنا بأنها حافظةٌ للغيبِ بما حفظَ اللهُ. أي حافظاتٍ لأسرار أزواجهنَّ، وما يقع بينهمْ وبينهنَّ في الخلوةِ. وهذا ما تضيقُ به النفوسُ في أحوالِ النساءِ –أصلحهنَّ اللهُ– يجلسنَ المجلسَ... (زوجي يحب أن يفعل كذا، هل زوجك يحبه؟ زوجي يحبُّ الثوبَ الفلاني، زوجي البارحةَ وقبلها وعندها وبعدها و... و... و... إلخ).

قد لا أُبتلى بسماع هذه الأحاديث أمامي لأنني أكثر مِن وعظهنَّ إذا تَحَدَّثْنَ بها، ولكنَّ النساءَ الغيوراتِ لا يهدأ بالهنّ فيخبرنني لأنصحَ. فأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، أين الحافظاتُ للغيبِ؟! لا تتحدثي بأسرارِ زوجِكِ. فإن النساءَ إما صالحةٌ وإما فاسقةٌ. فالصالحةُ ستنزعجُ منكِ وتغضبُ من حديثكِ، وتسقطين من عينها. وأما الفاسقةُ فلا يخلو أن تكونَ ذاقتْ ما ذقتِ أو لم تذقْ. فإن ذاقتْ فستظنّكِ تتفاخرينَ عليها وستحتقركِ

قائلةً: بأيِّ شيءٍ تتفاخرُ هذه؟! لعلها تظن أنها الوحيدة التي يحبها زوجها أو لعلها تكذب لنقصها. وإنْ لم تجربْ فلَنْ تبالي أنْ تحسدكِ أو تصيبكِ بالعين. وإنْ كانتْ صالحةً ولمْ تجربْ فلن تحسدكِ لأنها تتقي اللهَ، ولكن سينكسرُ قلبُها على أقلِ تقديرٍ وستحزنُ. فاتقي اللهَ واحمَديهِ على ما يسُرّكِ، واستري، سَتَركِ اللهُ. لنْ تفرحي إن عاقبكِ اللهُ بمرضٍ أو ابتُلِيَ زوجُكِ فلمْ يستطعْ ما كان يستطيعُه. فاتقي اللهَ وكوني كالصالحاتِ حافظاتٍ للغيبِ بما حفظَ اللهُ.

ومن معاني حافظاتٍ للغيبِ: أنهنَّ يحفظنَ أنفسهنَّ وفروجهنَّ في حالِ غيبةِ أزواجهنَّ. وهذا في الغالبِ لا خوفَ منه فالخياناتُ الزوجيةُ ليست ظاهرةً في نسائِنا ولله الحمدُ. ولكني أريدُ أن أهمسَ لأختي العانسِ التي لم تتزوجْ بعدُ، وقد ضاقتْ بها الأرضُ شوقًا للزواجِ وضمةِ الزوجِ: حذارِ يا أختي أن تدفعكِ رغبتكِ في الزواجِ إلى المعصيةِ. أختي، آمني أنَّ اللهَ كتبَ في اللوحِ من سيتزوجكِ، سواءً في الدنيا أو في الآخرةِ. وطالما أنَّه لم يأتِ، فهذا لا يعني أنَّه ليسَ موجودًا، فحكمُه حكمُ الغائبِ. فاحفظي نفسَكِ في غيابِ زوجِكِ حتى يُقرَّ اللهُ عينكِ بزوجكِ الذي انتظرتِه طويلًا، فيفرحَ بكِ طاهرةً عفيفةً. وقولي كلما آلمكِ طولُ البعدِ: سأحبُّ الفراقَ لأنه يزيدني شوقًا، وأحتملُ البعدَ لأنه يزيدُ لحظةَ اللقاءِ جمالًا. ولن يزيدكِ يأسًا أو ذنبًا. فتوبي إن زللتِ، وانتظري زوجَكِ الحبيبَ الذي أسألُ اللهَ أن يُقرَّ عينكِ برؤيتِهِ عاجلًا يا حبيبتي.

الخيرية الحقيقية: عبادة الله..

الآيةُ الثانيةُ ذكرتْ صفاتِ امرأةٍ وصَفها اللهُ بالخيرية: ﴿**أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا**﴾. ليس فيها صفة دنيويةٌ واحدة. فلم يَقُلْ: حسناوات، مَرِحات، مُتحبِّبات... فلا خيرَ في امرأةٍ لم تعرفْ ربَّها.. لأنَّ مَن لا تعمل للهِ ستنقلبُ سريعًا. ولهذا تتغيرُ الزوجاتُ بعد الزواجِ؛ لأنَّ هدفها أن يحبَّها رجلٌ ويتزوجها، ولا تبقى في صفِّ العانساتِ. فإذا تزوجتْ انتهى هدفُها فلا تثبتُ. ومن تتحببُ لزوجِها كي تنالَ إعجابَه وتملكه وحدَه، فلو يئستْ منه لصمته الدائم

أو لو فكرَّ بالزواجِ منها ستتغير ولن تثبتَ. وهكذا.

ولكنْ مَنْ قامَ للهِ لا يقعدُ لغيرِهِ.. فكما أنَّ مِن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. فهناك نساء صَدَقْنَ ما عاهَدْنَ الله عليه.. لأنها كلما أرادَتِ النكوصَ، هزَّها قولُ اللهِ: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ﴾ [الزخرف: ٦٢]. واعلمي أنَّكِ حينَ تهملينَ حقَّ اللهِ، يجعلُ اللهُ العالمَ كلَّه لا يعرفُ لكِ حقًا. وإن أحببتِ الدنيا فوقَ حبِّه، صرفَ اللهُ حبَّ الأولينَ والآخرينَ عنكِ. فنالي رضاهُ وسيرضيكِ.

ولا تنسَيْ أنَّ صفةَ (قانتاتٍ) تكررتْ في الآيتين. فاقنتي وعلِّقي قلبكِ بربِّ السماءِ. ولا تنسَيْ أنَّهُ الحبيبُ الأعظمُ، وكلَّ حبٍّ فهو دونَ حبِّه.. جلَّ في علاه، وتقدستْ أسماؤه. اقنتي وتوبي وتعبَّدي وصومِي واسجدي واركعي مع الراكعين، فأنتِ موجودةٌ لعبادةِ اللهِ، لا لتنشغلي عنه بعبادِ اللهِ.

إلهي، لكَ مِنَّا الرضى في كلّ حالٍ وحينٍ، والحمدُ لكَ في كلِّ ما قضيتَ. ربّي، بلاؤكَ نعيمٌ إنْ لمْ يكنْ غضبًا، والألمُ بلسمٌ إنْ لمْ يكنِ البطشُ له سببًا. فواعجبي من ساخطٍ على قضائكَ كذبًا، لمْ يعلمْ أنّ للمبتلينَ مع النبيّ صهرًا ونسبًا، وأنّ المُبتلى لَمْ يَزَلْ برحماتكَ متقلبًا. رباه:

لـــو أنـــني في النـــارِ ألـــقى ســـيدي ... فلأنـــــتَ رحمـــــنٌ وذاكَ قليـــــلُ
أو تحبســـوني في الجحـــيمِ مكـــبلًا ... فلكنـــتُ أهـــلًا والصـــنيعُ جميـــلُ

يا رب، اخنقْ خنقك، فوعزتك... إنك تعلمُ أني أحبك.

دعوة للثبات: هل المشاكل الزوجية حتمية؟

كثيرًا ما نسمعُ النساءَ يقلنَ: لا يوجدُ بيتٌ لا يخلو من المشاكِلِ، بل لو لَمْ تحدثْ مشاكلُ فهناكَ خطبٌ ما. وهذا باتَ مغروسًا حتى إنَّهُ باتَ من الْمُسَلَّماتِ في مجتمعنا، ولا يجادلُ فيهِ أحدٌ. نَعَمْ حدثت مشاكلُ في بيتِ النبوةِ حين طالَبتْ أزواجُ النبيِّ النبيَّ بالنفقةِ[1]، وعند قضية العسلِ[2]. ولكنْ أَلَمْ تَعِشْ معهُ أحداهنَّ بلا مشاكلَ طولَ عُمرِها؟ لم نسمعْ عن حدوثِ مشكلاتٍ في بيتِ أمنا خديجةَ، نصفِ الإسلامِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ولكنْ لا يوجدُ حديثٌ يؤكدُ ذلكَ. فبدأتُ أبحثُ هل هناكَ أيُّ رجلٍ قال عنْ زوجتِهِ أنّه عاشَ معها سنينَ بلا مشكلاتٍ، أو أن المشاكل يجب أن توجد كل يوم أو كل أسبوع؟ وجدتُ ذلكَ ولله الحمدُ، اسمعي:

شريح القاضي وزوجته: عشرون عامًا بلا غضب...

لمَّا تزوجَ شُرَيحُ القاضي بامرأةٍ من بني تميمٍ، وكانَ يومَ بنائِهِ بها، يقول: قمتُ أتوضأ فتوضأتْ معي، وصليتُ فصلَّتْ معي. فلما انتهيتُ من الصلاةِ، دعوتُ بأن تكونَ ناصيةً مباركةً وأنْ يعطيَني الله من خيرها ويكفيني شرَّها. قال: فحمدتِ اللهَ وأَثْنَتْ عليه، ثمَّ قالتْ: إنني امرأةٌ غريبةٌ عليك، فماذا يعجبك فآتيه، وماذا تكرهُ فأجتنبه؟ قال: فقلت: إني أحبُّ كذا، وأكره كذا. فقالتْ: هل تحبُّ أن يزورك أهلي؟ فقلت: إنني رجلٌ قاض، وأخافُ أن أُمِلَّهم. فقالت: مَن تحبُّ أن يزورك من جيرانك؟ فأخبرتُها بذلك. قال شريح: فجلستُ مع هذه المرأةِ في أرغدِ عيشٍ وأهنَئِه حتى حالَ الحولُ، إذ دخلتُ البيتَ فإذا بعجوزٍ تأمرُ

---

(١) انظر قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩]. والتفاسير الواردة حوله.

(٢) انظر قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التحريم: ١]، والآيات الأربع بعدها، والتفاسير الواردة حول ذلك.

وتنهي. فسألتُ: مَن هذه؟ فقالتْ: إنها أمِّي. فسألتْهُ الأمُّ: كيفَ أنتَ وزوجتك؟ فقال لها: خيرُ زوجةٍ. فقالتْ: ما حَوتِ البيوتُ شرًّا من المدللةِ، فإذا رابكَ منها ريبٌ فعليكَ بالسوطِ. قال شريح: فكانتْ تأتينا مرةً كلَّ سنةٍ، تنصحُ ابنتَها وتُوصيها، ومَكثْتُ مع زوجتي عشرينَ عامًا لمْ أغضبْ إلا مرةً واحدةً، وكنتُ لها ظالمًا[1]. أسمعتِ... عشرين عامًا.

الإمام أحمد وزوجته: ثلاثون عامًا بلا خلاف...

قالَ الإمامُ أحمدُ -رحمه الله- عن زوجتهِ عباسةَ بنتِ الفضلِ -رحمها الله-، أمُّ ولده صالح: أقامتْ أمُّ صالحٍ معي ثلاثينَ سنةً، فما اختلفتُ أنا وهيَ في كلمة. ثم ماتتْ -رحمها الله-[2]. أسمعتِ.... ثلاثين سنة! الله الله يا تميمية... الله الله يا أمَّ صالح، هل تستطيعُ امرأةٌ اليومَ أن تعيشَ ثلاثينَ يومًا دونَ مشكلةٍ بل مشاكلَ؟! نساءٌ ينطبقُ عليهنَّ قولُ رسولِ اللهِ: «إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا؛ قِيلَ لَهَا: ادخلي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»[3]. هذهِ هي الطاعةُ لا طاعةُ الساعةِ والساعتين.

أختي، إنَّ هذا ممكنٌ. وإن استطاعتْ أمُّ صالحٍ فِعلَهُ، فتستطيعينَ أنتِ. لا تجادلي، لا تناقشي جهالاته... حسابُهُ عندَ ربِّه. ولكنْ عليكِ بنفسكِ مع النصيحةِ له. أنتِ أنتِ، لا تلتفتي لِمَا يفعلُه هوَ بغير النصيحة الطيبة. واسألي ذاتكِ: لو كنتُ خديجةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الصالحةَ، ما كنتُ سأفعلُ؟ لو كنتُ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كيفَ سأتصرفُ؟

ولو جادلتِ وأخطأتِ فاعْتَذِرِي فورًا بقولك... لأن هناك يوم حساب... اعْتَذِرِي... فهوان الدنيا أخفُّ من عقاب الآخرة... اسْتَغْفِرِي اللهَ... ولَوْ كانَ هو المخطئ... لأنكِ

---

(١) وردت القصة في كتاب «تاريخ دمشق» لابن عساكر مع زيادة، وفي كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي، وأيضا في كتاب «الأغاني» للأصفهاني، وفي كتاب «طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار» لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي؛ باختلافات في الرواية؛ زيادةً أو حذفًا، وقد أوردتُها بتصرف.

(٢) انظر «تاريخ بغداد» (٧٨١٠).

(٣) رواه ابن حبان (٤١٦٣)، وأحمد (١٦٦١).

ستُعوِّدينه بهذا الاعتذار، وسيتعلمه منكِ... وإن اعتذرتِ عشرَ مراتٍ على أخطاء فعلتِها أو فَعَلها... فسيعتذرُ هو في الحاديةَ عشرةَ.. فقط اصبري ولا تراكمي الأخطاء.

حكمة: المرأة إن طالَ لسانها قصرت أيامها في قلب الرجلِ وبيته.

والآن تأملي معي قولَ الله: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

قالَ عطاء: «كان في لسانِها طولٌ فأصْلَحَها اللهُ»[1].

هو نادى ﴿لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾. أستطيعُ أن أفهمَ معنى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾؛ لأنَّ دعاءَه يقتضي ذلكَ. ولكنْ ما سببُ وجود ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾؟ هو لم يَدْعُ بذلك ظاهريًّا، فماذا يريدُ اللهُ أن يُخبِرنا؟ إنَّ الرجلَ حين لا تكون زوجتُه صالحةً، وإنْ كانَ يجلسُ معها طولَ النهارِ، فهو يشعرُ بأنه فردٌ وحيدٌ كمنْ لا زوجةَ لهُ. ومن شعرَ بالوحدةِ بحثَ عنِ شريكٍ. فأخرجي زوجكِ من تفردهِ بصلاحكِ، لا تجعليه يعيشُ فردًا وحيدًا ولو لدقيقة، فهي طويلةٌ. وقولي: ربِ أصلحني لزوجي.

الشيطان: عدو الحياة الزوجية...

أريدُ أن تعلمي أمرًا مهمًّا كذلك. أنتِ تعلمينَ أنَّ كلَّ شخصٍ يبحثُ عن وظيفةٍ يحاولُ أن يجدَ الوظيفةَ الأنسبَ والأكثرَ ربحًا. كيفَ ترينَ وظيفةَ مدير الشركةِ أو مدير دائرةٍ ما؟ رائعةٌ أليسَ كذلك؟ إنَّ أروعَ وظيفةٍ عند الشياطين هي اللعبُ بينكِ وبينَ زوجِكِ، وتسَلُّمِ إدارةَ شركةِ المشكلاتِ الزوجيةِ أو مديرَ دائرةِ الإفسادِ بين الزوجين.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ:

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» عند تفسير هذه الآية.

فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[1].

أغيظي الشيطانَ وأقيليهِ من منصبهِ، واعزليهِ من وظيفته، ولا تَفسحي المجالَ لهُ للتدخلِ فيما بينكما. ولَوْ كانَ مخطئًا وكانَ حقُّكِ مهضومًا، قولي للشيطانِ: أتريدُ أنْ آخذَ حقي وأجادلَه؟!! والله لا أفعلُ واغْتَظْ. لنْ أَقولَ ما يُغضِب ربي، لن أعصيَ اللهَ وأكفرَ العشيرَ، لنْ أتركَ ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ٣٤]، لنْ أنسَى ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ٩]. وصِيحِي بعزةٍ: (إنْ دنا الشيطانُ من قلبي، ما أنا بمُغضِبةٍ لربي... لا، ولا بتاركةٍ دربي...).

يا ربِّ أصلِحْنا وباعِدْ بيننا وبين الشيطان، وحَلِّنا بالحِلْمِ وكظمِ الغيظِ. ربي أوصانا نبيك قال: «لا تغضب»[2]، فلا تجعلنا نعصيهِ فتغضبْ. نعوذُ بكَ من غضبكَ... يا مولاي... نعوذُ بك.

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٣).

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٥).

كوني له أمة يكن لك عبدا...

كوني له أَمَة يكن لك عبدًا، وكوني له أرضًا يكن لك سماءً، وكوني له مهادًا يكن لك عمادًا[1]. كوني له أَمَة فيما يحل له... ورَفِّهيه، ففي ترفيهه كرم... هذه الجملةُ محفوظةٌ لدى الكثيرِ، وبعضها جزءٌ من النصيحةِ الذهبيةِ التي كانت للعرب، وقيل: إنها لأسماء بنت خارجة ابتداءً في وصيتها لابنتَها. ولكننا لم نَعُد نفهمها حتى باتت مقلوبةَ المعنى في عالمنا، حتى أنَّ إحدى المغنياتِ –هداها الله– خرجتْ على مسرحٍ يحوي ملايينَ الرجالِ وقامَتْ تغني: (ما فيَّ عَيشْ إلا معك، ما فيَّ كون إلا إلك). بمعنى: أنا لكَ وحدك. فقلتُ في نفسي: إنْ كانتْ لا تستطيعُ أن تكونَ إلا لهُ، وخرجت أمامَ الملايينِ، فكيفَ لو استطاعَتْ أن تكونَ لغيره؟ يا للسخف.. لا يظنُّ ظانٌّ أني أستمعُ للغناءِ، ولكنِّي قَدْ أسمعُها عابرةً في حافلةٍ أو مكانٍ عامٍ وأحفظُها.. المهم نحن على الحقيقة لا نحسن أنْ نكونَ إماءً تصنع من زوجها عبدًا... بل نستطيع أن نكون إماءً تصنع من زوجها طاغوتًا..

ذهبَ رجلٌ ليشتري أَمَةً فبدأ يسألُ كلَّ واحدةٍ عن صفاتِها ويُجِبْنَهُ حتى قالتْ واحدةٌ: ليس بي كثيرُ صفاتٍ غيرَ أنِّي لا أُنْسِي نفسي أنِّي مملوكةٌ لك. فقالَ: هذه الصفةُ بكل صفةٍ.

هناك لَبْسٌ عند الزوجة في هذا... فكيف تنسجم عبودية الله ووحدانيته والخضوع له وحده مع الشعور بسيادة أحدٍ غير الله... والشعور بأنكِ مِلْكه وله ؟؟ تأملي معي المِلْكية...

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١]. أسمعتِ (لَكُمْ)؟ ولَمْ يَكتفِ سبحانه بقولِ: (خلقَ من أنفسكمْ). وآيةً أخرى على لسانِ لوطٍ لقومه: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ [الشعراء: ٦٦]. هل أَيقَنتِ الآنَ أنكِ لهُ ومِلكُه؟ ليسَ ذلكَ فَقَطْ، قالَ اللهُ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا

---

(١) انظر «تزيين الأسواق في أخبار العشاق» لداود بن عمر الأنطاكي الضرير.

﴿زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦]. فهو الأصلُ، فهوَ النفسُ الواحدةُ، ثمَّ أنتِ خُلِقتِ منهُ، هو النفس التي (جَعَلَ مِنْهَا) و(جَعَل لها) كما بيَّنَّا.

لكي تفهمي ذلك، تخيَّلي أنكِ أُمِرتِ بجمع ثمار حقل تفاح، ولم تكوني تملكين إلا يديكِ، فجَمَعْتِ القليل وحدكِ... ثم وَهَبكِ سيدكِ حصانًا لتجمعي أكثر، فنسيتِ مهمة جمع التفاح... وانشغلتِ بالحصان واللعب معه يَمْنَةً ويَسرةً وكسب قلبه، لا التفاح. أو أهملتِه وجَوَّعتِه... وقررتِ أنْ تُكمِلي وحدكِ وتَنْسَيْ وجوده... فقد أتعبتكِ بحاجته للعشب والماء والمأوى... كذلك أنتِ، جمع الحسنات دون الزواج بطيءٌ وقليلٌ... لأنه لا يكون فيه ما في الزواج من جواذب النفس واحتياجاتها... ووجود الخيارات الكثيرة الواضحة بين الدنيا والآخرة... فحين يمنحنا الله هدية الزوج... فذلك لتزيد حسناتنا التي نجمعها للسيد الربِّ... لا لنعمل لكسب قلب العبد نفسه... كوني كلَّ يومٍ أَمَةً لله... جامعةً للحسنات التي تُرضِي سيدكِ... يكن لكِ زوجكِ مُعِينًا على هدفكِ... وسببًا في زيادة قربكِ من الله... أما إنْ نسيتِ الله... فأنتِ تصنعين طاغوتًا لا عبدًا.

قالتْ امرأةُ سعيد بنِ المسيِّب: (ما كنا نُكلِّمُ أزواجنا إلَّا كما تكلمونَ أمراءَكم... أصلحكَ الله، عافاكَ الله)[1]. أنا لا أحاولُ أن أُقلِّلَ من شأنكنَّ، إنَّما أحاولُ وضعَ المرأةِ والرَّجُلِ في المكانِ الصحيح الذي وضَعَه لهما اللهُ.

عندما تكونينَ أمةً مطيعةً، تجعلينَ من الأمير أسيرًا. قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»[2]. لبُّ الرَّجُلِ عقلُه وفؤادُه، فَلا أحدَ يَملِكُهما سوى تلكَ الضعيفةُ ناقصةُ العقلِ. ولكنْ عندما تظنُّ أنها الكاملةُ العاقلةُ التي لا تحتاج الحصان... ولا تحتاج التفاح أصلًا، وتنازعُ الرجلَ إمارتَه وتكفر نعمة اللهِ، يذهب الله بها... وتُطرَد من زمرة العاملين لله... فاختاري موضعكِ الذي تحبينَ. لا بد أنكِ ستحبين أن تكوني أَمَتَهُ... وتفخرُين أن يكونَ هو عبد

---

(١) «زاد المسير» لابن الجوزي في تفسيره للآية (٢٢٩) من سورة البقرة: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

(٢) رواه البخاري (٢٩٨)، ومسلم (٧٩).

سيدكِ... الكريم عندك... الذي يُعِينك على طاعة الله... أليسَ هو زوجكِ الذي أحببتِه؟ حفظه اللهُ لكِ وحفظكِ له.

هل أنت مصيبة أم مصيبة؟

حبيبتي، إنَّ المصائبَ في الحياةِ كثيرةٌ، ولكنَّ أسوأَ ما يمكنُ أن نكونَ نحنُ للآخرينَ بعضَ مصائبهِمْ. والمشاكلُ في الدنيا متعددةٌ، ولكنْ ما أسوأَ أنْ نكونَ ضمنَ تلكَ المشكلاتِ التي تُعَدُّ! وأسباب الألم متنوعة، وما أسوأ أن نكون ضمن تلك الأنواع المؤلمة! والأسوأ من ذلكَ كلِّه أنْ لا ندركَ أننا بِئْنا كذلك. لماذا نحب أن نرى غيرنا يبكي بسببنا أو يتمنى الموت ليفارقنا؟

تأمَّلي الحديث النبوي التالي:

«لَيَلْقَيَنَّ أحَدُكم ربَّه يومَ القيامةِ... فيقولُ له: ألَمْ أُسخِّرْ لكَ الخيلَ والإبلَ؟ ألَمْ أذَرْكَ تَرْأَسُ وتربَعُ؟ ألَمْ أُزوِّجْكَ فُلانةَ... خَطَبها الخُطَّابُ فمنَعْتُهم وزوَّجْتُكَ»[1].

حين تكونين عاملةً في أرض الله... لله... سيسأل الله زوجكِ عنكِ... ويَمْتَنُّ عليه بأنكِ كنت زوجته... فلا تقطعي حبل الوَصْل بينك وبين الله... ولا تتركي الأدب مع الزوج لأجل دنايا الدنيا... كُوني على الحق مصيبة... ولا تكوني غارقةً في الشَّرِّ كأنكِ مصيبة.

كوني أَمَةً ترفع زوجها حين يضعه الناس... كوني أَمَة تخدم زوجها حين يجعله الناس خادمًا لهم... كوني أَمَة تبتسم لزوجها حين تكلح وُجُوه الخَلْق... كوني شمسًا مشرقةً يَحِنُّ زوجك لنورها كلما أظلم عليه الليل... كوني أَمَة واجعليه يعيش دور السيد، فلطالما مَارَسَ الناس عليه هذا الدور... ولو كان الزوج أضعف خَلْق الله شخصيةً وأذلهم طبعًا؛ فاجعليه يغلبكِ مرارًا... ويتسيَّد عليكِ تكرارًا. فلعلكِ إنْ لم تفعلي تدوسي ما تبقَّى من رجولته، ثم تحتاجينها يومًا لردِّ ظالم أو ضبط ولد عاقّ أو دفع معتدٍ، فلا تجدينها إلا ميتةً تحت قدميكِ.

---

(١) **صحيح:** رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤١١٨)، وانظر «ظلال الجنة» (٦٣٢).

فراجعي علاقتكِ بزوجكِ وطريقةَ تعاملكِ معه. أرجعي الأميرَ إلى عرشِه... وعيشي في أمانٍ ضمنَ حاشيتِه... وتذكري ما أسلفناهُ من حديثِ رسولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا»[1].

وتذكَّري أنَّ ما تفعلينه أنتِ له... تتمنين أنْ يفعله لكِ هو... فإنْ حقَّق أمنيتك... وكان بتلك الأخلاق... فهنيئًا له الرِّفْعة... وإنْ لم يحقق أمنيتك... فقد حقَّقتِها له... وكنتِ مقتديةً بالرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ... وأخذتِ أَجرَكِ وتَرَكْتِه نادمًا بين يدي ربِّه على تفريطه.

(١) رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وغيرهما. وفي «السلسلة الصحيحة» (١٢٠٣).

هذا البابُ وضعتُه لكي تعودي إليه كلما شعرتِ أنكِ تعبتِ من الطاعة. لقد قلتُ لكِ حبيبتي: إنه متعبٌ؛ فهو جهادنا. فالتزيُّنُ كلَّ يومٍ، وإحسانُ الكلامِ كلَّ ساعةٍ، والتفكيرُ في التجديدِ والتغييرِ، وكظمُ الغيظِ، وعدمُ المجادلةِ، والرضا على كلِّ حالٍ، واستيعابُ الزوجِ على الدوامِ، مع تدبيرِ شؤونِ البيتِ ومراعاةِ الأطفالِ؛ أمرٌ مرهقٌ جدًّا.

وكذلك؛ مرهقٌ للزوج أن يمنع نفسه عن كل شهواته المحرمة... ويكتفي بك... ثم يخرج من الصباح ليعمل... ثم يسدد ما قَدَر... ويكافح ليطعمكم ويسقيكم ويسعدكم ويحميكم... ويسمعكم ويتفقد مشاكلكم... ويتحمل ثِقَلكم وأمراضكم وأوجاعكم وطلبات مدارسكم وهواتفكم ..

حتمًا يأتي على الإنسانِ وقتٌ يَصُدُّه الشيطانُ، ويراودُه أَنْ يتركَ كلَّ ذلك... ويذهب ليتمتع بلا مسؤوليات... فمتى شعرتِ بذلكَ، فعودي لقراءةِ هذا البابِ كي يشتعلَ عزمُكِ مرةً أخرى...

في هذا الباب؛ تستطيعين اختيارَ الهدفِ الذي تشائينَ من بينِ الأهدافِ التي سأضعُها، ولن أُعلِّقَ عليها. فمن الجميلِ أن يحدِّدَ الإنسانُ وجهتَه كي يحسنَ السيرَ. ضعي هدفَكِ مكتوبًا ومزيَّنًا في مكانٍ تستطيعينَ رؤيته بهِ؛ كي لا تنسيه، ووقِّعي عليه إنْ كنتِ ممن يحتاجون التوقيع...

الهدف الأول: امرأة من أهل الجنة..

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الْوَدُودُ، الْوَلُودُ، الْعَؤُودُ، الَّتِي إِذَا أَغْضَبَتْه أَوْ غَضِبَتْ؛ قَالَتْ: يَدِي فِي يَدِكَ،

لا أَكْتَحِلُ بِغِمْضٍ حَتَّى تَرْضَى عَنِّي»[1].

قولي: سأكون بإذن الله تلك المرأة، سأكون امرأةً من أهل الجنة.

الهدف الثاني: خير متاع الدنيا...

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»[2].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة، التي إذا نظر إليها سرَّته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته»[3].

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدنيا متاع، وخير متاعها الزوجة الصالحة»[4].

قولي: سأكون سعادته، سأكون كنزه، فأنا خير متاع الدنيا.

الهدف الثالث: خيرٌ لا ينقطع، نبعٌ لا يَجِفُّ، جذورٌ لا تموت...

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أزواج أهل الجنة ليُغنِّين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحدٌ قطُّ؛ إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقُرَّة أعيان. وإنَّ مما يغنين به: نحن الخالدات فلا نَمُتْنَهْ، نحن الآمنات فلا نَخَفْنَهْ، نحن المقيمات فلا نَظْعَنَّهْ -أي: لا نُبدِّل حالنا-»[5].

خاصم أعرابيٌّ امرأته إلى زياد، فشَدَّد على الإعرابيِّ، فقال: أصلح اللهُ الأمير، إنَّ خَيْرَ عُمْر الرجل آخره، يَذْهب جهلَه وَيَثوبُ حِلْمه، ويَجْتمع رأيُه؛ وإنَّ شرَّ عُمْر المرأة آخرهُ،

---

(١) رواه النسائي (٩١٣٩) وغيره، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٣٨٠).

(٢) رواه ابن حبان (٤٠٣٢)، وصحَّحه الأرنؤوط.

(٣) رواه في «المستدرك» (١٤٨٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤) رواه مسلم (١٤٦٧).

(٥) صحَّحه الألباني في «الجامع الصغير» وزيادته (٢٤٤١).

يَسُوء خُلُقُها، ويحتدُّ لسانها، وتَعقَم رَحِمُها». قال له: صدقتَ[1].

قولي: لن أتغير ولن أبدل، سيكون أول عمري وآخره سواء... إحسانٌ غالبٌ لا يخالطه إلا بعض اللَّمَم... الذي نستغفر الله منه.

الهدف الرابع: ربيع مُربع...

قال أعرابي: «النساء أربع: ربيع مُرْبِع، وجميعٌ تجمع، وشيطانٌ سمعمع، وغلٌ لا يُخلَع، أما الربيع الْمُرْبِع فالتي إذا نظرت إليها سرَّتك، وإذا أقسمتَ عليها أَبَرَّتك. وأما التي هي جميع تجمع، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَب، فتجمع نَشَبك إلى نَشَبِها. وأما الشيطان السَّمَعْمَع، فالكالحة في وجهك إذا دخلتَ، والملومة في أَثَرك إذا خرجتَ. وأما الغل الذي لا يُخلَع، فبِنْت عمك السوداء القصيرة، الفوهاء الدميمة، التي قد نثرت بطنها، إنْ طلَّقتَها ضاع ولدك، وإنْ أمسكتها فعلى جدة أنفك»[2].

قولي: سأكون الربيع الْمُرْبِع، وليقطف زوجي أزهار الربيع.

الهدف الخامس: واحد في أربع...

ذُكرت النساءُ عند الحجاج، فقال: عندي أربع نسوة، هند بنت المهلب، وهند بنت أسماء بن خارجة، وأم الجلاس بنت عبد الرحمن بن أسيد، وأَمَة الله بنت عبد الرحمن بن جرير بن عبد الله البجلي. فأما ليلتي عند هند بنت المهلب فليلة فتى بين فتيان، يلعب ويلعبون. وأما ليلتي عند هند بنت أسماء، فليلة ملك بين الملوك، وأما ليلتي عند أمِّ الجلاس فليلة أعرابي مع أعراب في حديثهم وأشعارهم. وأما ليلتي عند أَمَة الله بنت عبد الرحمن بن جرير، فليلة عالم بين العلماء والفقهاء»[3]. انتهى.

---

(١) «طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار» لابن عبد ربه الأندلسي.

(٢) «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني. وقوله: (نشب) هو المال والعقار، و(الكالحة) المقطبة صاحبة الكشرة، و(الملومة) اللائمة العائبة، و(الفوهاء) عظيمة الفم طويلة الأسنان، و(الدميمة) القبيحة، و(نثرت بطنها) ولدت بكثرة، و(جدَّة أنفك) كُرْهًا منك ورغمًا عنك.

(٣) «طبائع النساء» لابن عبد ربه.

قولي: سأكون أنا الأربع، ولكل ما فيهنَّ سأجمع، ويا قرة العين فاهْنَأ وتمتَّع.

فقط تذكَّري أنكِ في حياتكِ تصنعين لقبًا أو وصفًا... يقال عند موتك على قبرك: رحمها الله كانت زوجة .....

وربما يُقال حين تَلْقَين رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أهلًا بكِ قد كنتِ زوجةً .....

وربما يُقال عند لقاء الله: هذه أَمَتي التي كانت الزوجة .....

ذلك اللقب هو خيارٌ من بين ألقاب كثيرة... قد تحصلين عليها لا سمح الله... زوجة جاهلة.. مهملة.. غاضبة.. نقاقة.. سيئة.. غيورة.. حقودة.. نكدية .... أم هي زوجة صالحة.

لقد خلق الله الحور العين في الجنة ليَكُنَّ ثوابًا وراحةً لعباده الصالحين، وهنَّ يتمتعن بصفات لا نمتلكها نحن في دنيانا. ولا مجال للمقارنة المباشرة بيننا وبينهنَّ في ذلك، فنحن في دار ابتلاء وتكليف، والحور في دار جزاء ونعيم. لكن هذا لا يعني أننا لا نملك ما يُميِّزنا عنهنَّ، لقد منحنا اللهُ فرصةً ثمينةً لنتفوق بها، ونثبت صلاحنا بطريقةٍ لا تمتلكها الحوراء... تلك الميزة هي: ميزة الأزمات.

الأزمات: فرصة للوفاء والاحتواء...

في الجنة، لا يوجد بؤس ولا شقاء، ولا فقر ولا مصائب، كل ذلك موجود في دنيانا. إن الأزمات هي الفرصة الأثمن التي يحتاجكِ فيها الرجل، وتستطيعين أن تثبتي فيها وفاءكِ ووقوفكِ إلى جانبه.

كل إنسان في ساعات الضيق والألم يحتاج إلى مَن يقف بجانبه ويعينه. ولو لم يفعل شيئًا سوى أنْ يسمع شِكايته، ويمسح دمعته، ويضمَّه إلى صدره؛ لكفى. كلنا يحتاج ذلك. لكن الكثير من النساء يشتكين بأن أزواجهن لا يتحدثون بمشكلاتهم. لماذا؟ لأن الرجل يعلم أنكِ قد تزيدين همَّه.. قد تقولين: (فليُحدِّثني مرة... ولينظر كيف سأريحه!). كلا حبيبتي، الرجل يرى ردود أفعالكِ تجاه الأمور الصغيرة قبل أنْ يُحدِّثكِ بالمشكلات الكبيرة. ولطالما سخرتِ من أفعاله وقدراته.

لنستعرض بعض المواقف الصغيرة التي قد تحدث:

يُحضِر كيلو من الطماطم الطرية، وأنتِ طلبتِ منه قاسية، فتقولين: (قلت لك: انتقيه قاسيًا... سامحك الله... على كل حال جيد أنك أحضرته).

يُحضِر زوجك الغالي ثوبًا غاليًا، تقولين له: (لقد غلبوك بسعره، كنتُ سأُحضِره بسعر أقل... على كل حال جزاك الله خيرًا).

هذه الردود قد لا تبدو قليلة الأدب، ويا ليت النساء يَقُلْنَ مثل ذلك. لكن العادة أن يرافق الإجابات صوت بتردُّدٍ يصل إلى سابع جار، وقد ترد ضمن الإجابة ألفاظ لا توجد في قواميس الاحترام.

حتى مع ما في هذه الردود من حُسْنٍ، فإنَّ منافسة الحوراء لا تطلب الحسن، بل الأحسن. هي لا تجيب كذلك، لأن هذه الإجابات لا تعجب الرجال. سيقول في نفسه: (لأجل حبات الطماطم قالت: أنا قلت لك! ولأجل دينارَيْ فرق السعر قالت: أنا أحضره أرخص! فكيف بالمشكلات الكبيرة؛ ماذا ستقول؟!).

مفتاح ثقة الرجل: المرهم لا السكين...

الرجل لا يُحدِّث امرأةً بأزمةٍ حتى يثق بأنها لن تحتقره ولن تقلل من شأنه... لن تكوني كلاصق الجروح الذي قد تضعينه على الجرح قليلًا، ولكنك إنْ أَزَلتِهِ فُتِحَ الجرح، هذا إن لم تكوني سِكِّينًا إضافية! لن يُكلِّمكِ حتى تكوني مَرهَمًا لجروحه، وأُمًّا لطفولة آلامه، ورَحِمًا لأَجِنَّة أحزانه، وحِضْنًا لجوع عواطفه.

إنَّ أعظم انتصار للمرأة ليس أن يحضر لها خزانة الملابس التي تمنَّتها، ولا أن يبدل لها ستائر ومقاعد غرفة ما، ولا أن يقول لها كل يوم: (أحبك)، أو أن يهديها قلادة ذهبية في عيد زواجهما. بل إن أعظم انتصار هو أن يعود زوجها متألمًا ثم يبكي في صدرها. ذلك هو الانتصار المظفَّر، وتلك هي اللحظة التي تعلمين بها أنك أغلى مَن على الأرض عنده.

لكي تصلي لذلك النصر، هناك قاعدة عظيمة في تعامُل النساء مع الرجال، إنه قول الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. حبيبتي، احفظي تلك الدرجة وسترتفعين في عين زوجك ألف درجة. لا تُشعِري زوجك أنك تقفين على ذات الدرجة، أو أنك أفضل منه بمثل هذه الكلمات: (أنا)، و(قلتُ لك)، و(تستحق)، و(لماذا لا تفهم)، و(انظر لفلان مثلًا).

دعيني أصلح الآن موقف الطماطم الذي ذكرته: زوجك الغالي أحضرها. خذي الكيس وضَعِيه... ثم ضعي يديه في يديكِ... وقولي وأنتِ مبتسمة: (لو كان قاسيًا لدام أطول)... ثم قبِّلي يده... وقولي: (جزاك الله خيرًا، ولكن اللون الأحمر القاني جميلٌ... إنه

لون الحب... ما أجمله لأنه منك!!). وأكملي عملكِ... بهذا حفظتِ الدرجة[1].

الألمُ والهمُّ يُثقِل النفس... فتنحني الرؤوس للأسفل ولا تنظر للأعلى. فإن وجدكِ هناك انحنى عليكِ وبكى، ثم استند عليكِ ليعود عزمه، وينظر للسماء مجددًا، ويمضي دون أن ينسى أن يرفعكِ معه... كي لا يسقط مرةً أخرى إلا ويجدك.

مثال على استيعاب الأزمة...

جاءكِ يشكو لكِ أنه يُظلم ويُهان في العمل. فلا تقولي له: لأنك موطي حيطك، ما بتعرف ترجع حقك! لا يا حبيبي، كان غيرك أشطر، لو كنت مكانك وأنا امرأة لورجيتك فيهم!... وهكذا. بل قولي له: حبيبي، إن الجوهرة مكانها في صندوق المجوهرات، ولكن لو أتى أحد وألقاها على الأرض... فهذا لا يجعل مِن الجوهرة شيئًا لا قيمة له، ولكنه يُثبِت أنَّ هذا الرجل مجنون ولا شك... ولقد أثبتَّ لهم مَن أنت مرارًا... وتستطيع ذلك مرات أخرى... لا تهتم لهم... يكفي أني أرى فيك كل الدنيا. وقبِّلي رأسه.

وهكذا في كل مشكلة، جِدِي الألفاظ التي تُعزِّزينه بها، واستغلي الفرصة لتقولي له: إنكِ لم تغيري رأيك فيه عند المصيبة، وإنك تحبينه وتثقين بقدراته... عندها لن ينسى لكِ ذلك ما عاش، وجربي ذلك وانظري النتائج.

وتذكَّري مرةً أخرى... أنكِ تتمنين ذلك منه لحظة انكساراتك... فمِن الإيمانِ أَنْ تُحِبِّي له ما تحبينه لنفسكِ...

من السيرة النبوية...

ولكي أُثبِت لكِ مفعول ذلك، فلننظر لهذا الحديث. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحدِّثًا عن أُمِّنا خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ،

---

(١) ملاحظة: لا ترضيني كلماتٌ مثل: (أَرضِي غروره) فهو ليس مغرورًا، ولكنه بالفعل في مكان أعلى منكِ، كما أنكِ في مكانٍ أعلى من مكان ولدكِ، فلو أَمَرْنا ولدكِ باحترامكِ؛ فليس ذلك لتُرضِي غرورك، ولكنْ لأنكِ أعلى منه، وهكذا الرجل.

وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»[1].

ما الذي لم يَنسَه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... (حين كفر، إذ كذَّبني، إذ حرمني). إنها الأزمات. فكان من وفائه لها أنه كان يُطعِم صديقاتها، ويُكرِم مَن تحبها، ويُكثِر ذِكْرها، حتى غارت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا منها مع كونها ميتة[2].

أسماء بنت أبي بكر: مثال السند والوفاء...

لننظر إلى سيرة أسماء بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذات النطاقين، وأخت أمِّ المؤمنين عائشة، وزوجة الزبير بن العوام حواري رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. تحكي أسماء عن حياتها مع الزبير، وكيف كان فقيرًا في بداية زواجهما، لا يملك إلا فرسًا وبعيرًا يستقي عليه.

تقول أسماء: تزوَّجني الزبير، وما له في الأرض من مالٍ ولا شيء غير فرسه وناضحه (أي: بعيره) الذي يستقي عليه، فكنتُ أعلف فرسه وأسوسه، وأدقُّ لناضحه، وأستقي الماء، وأَخْرِز غَرْبه (أي: أضبط دلوه بالخرز)، وأعجن، وكنت أنقل على رأسي من ثُلُثَيْ فرسخ، حتى أرسل لي أبو بكر خادمًا يكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني[3].

كان الزبير فقيرًا، لكن أسماء لم تَقُلْ: ما لي وما له؟ هذا ليس عملي فليعمله بنفسه أو ليحضر خادمًا... بل كانت المرأة الصالحة التي تقف سَنَدًا لزوجها... تعينه وتصبر. هذا الموقف يُجسِّد أعلى درجات الوفاء والاحتواء في أوقات الشدة.

سُعْدَى وطلحة: الشريك الذي يزيل الهموم...

تأمَّلي هذه الرواية الرائعة عن سُعْدى وزوجها المهموم طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. دخلت عليه يومًا، فرأت منه ثِقَلًا (هَمًّا)، فقالت له: ما لكَ؟ لعلكَ رابكَ منا شيءٌ فنُعتبكَ؟ قال طلحة: لا، ولَنِعْمَ حليلة المرء المسلم أنتِ، ولكن اجتمع عندي مالٌ،

---

(١) رواه أحمد، والطبراني في «المعجم الكبير»، واللفظ لأحمد.

(٢) انظر نفس الحديث السابق.

(٣) الحديث مختصر، وأصله تام في البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٥٨٢١).

ولا أدري كيف أصنع به؟ فقالت سُعْدَى: وما يَغُمُّكَ منه؟! ادْعُ قومك، فاقسِمه بينهم. فقال: يا غلام! عليَّ بقومي. فسألتُ الخازن: كم قسم؟ قال: أربعمائة ألف[1].

انظري، رَأَتْه مهمومًا، فخافت أن تكون سبب حزنه. فقالت: (أَرَابَكَ وأزعجك؟ أولم يُعجِبك من فعلي شيء فأعتبك؟) أي: فأُرْضِيك بما تطلب. فلمَّا كانت حريصة على ألا تكون سبب همِّه، بماذا أجابها؟ أجابها: (لا، ولَنِعْمَ حليلة المرء المسلم أنتِ). كلا يا خير امرأة يتزوجها المسلم! جرِّبي ما قالت... كي تسمعي ما سَمِعَتْ.

الأعرابية وزوجها: حكمة في التوجيه...

ختامًا، قالت أعرابية لزوجها ورأته مهمومًا: إنْ كان همك للدنيا فقد فرغ الله منها، وإنْ كان همك للآخرة فزادك الله تعالى همًّا بها[2].

تريد أنَّ الله كتب كلَّ ما سيحصل في الدنيا، فهَمُّك بها لن يُغيِّر شيئًا؛ فاهتمَّ بالآخرة، فهي التي حرمانها خسران مبين.

هذه الأمثلة تُظهر لكِ كيف يمكن للمرأة أنْ تكون سندًا وعونًا لزوجها، وكيف يمكن لحسن تصرفها وكلماتها أنْ تُحوِّل الهموم إلى طُمَأنِينة، والقلق إلى سكينة.

اللَّهُمَّ إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى مَن تَكِلني، إلى بعيدٍ يتجهَّمني، أم إلى عدو ملَّكته أمري؟! إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظُّلُمات، وصلُح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك أو تُحِلَّ عليَّ سخطك، لك العُتبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩٥)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: حسن موقوف.

(٢) «البصائر والذخائر» لأبي حيان التوحيدي.

الزوجة الثانية: بين الشرع والقضاء والابتلاء

عند ذِكر (الزوجة الثانية)، كثير من النساء قد يهربن فورًا من الفكرة قائلات: (أعوذ بالله من غضب الله، أعوذ بالله من هذه السيرة! كش برة بعيد... اللّٰهُمَّ حوالينا لا علينا... الله يبعد عنا سوالف الغم ومصائب الهم... اللّٰهُمَّ عافِنا ولا تَبْتلِنا... اللّٰهُمَّ وحِّدنا ولا تُثنِّينا)، وكأنما ذُكِر غسلين النار أو زقوم سقر أو مرض الإيدز أو طوفان تسونامي. مع أنني أتحدث عن زوجة ثانية لا رابعة، وعن زواج لا عن زنا، وعن أمر شرعه الله في آيات تُتْلى إلى يوم القيامة، لا عن فعل يُحظَر شرعًا أو يُكرَه ديانةً.

لو قمت بجولة بين النساء ووجَّهت لهنَّ السؤال التالي: (لو تزوَّج زوجك عليكِ ماذا تفعلين؟) ماذا ستسمعين من إجابات؟ (والله لا أظل بذمته ثانية واحدة!)، (أهاجر وأترك البلد كلها!)، (سأقتله!)، (ستكون آخر ليلة في عمره!)، (الموت أهون، سأنتحر!)، (أقتلها وأقتله وأقتل حالي وراءهم!)، (أمسك سكينًا وأُشوِّه وجه امرأته أو أحرقها وليهنأ بها!)... إلى آخره. فلماذا كل هذا الغضب؟

الشرع والقضاء: ركائز الإيمان...

قبل أن نناقش صعوبة ذلك نفسيًّا على المرأة، وكيفية التصرف، ودورك، سأناقشك في مسألة خطيرة جدًّا أخشى أن تؤثر في إيمانك بالله، أو قد تُوصِّلك للكفر به، والعياذ بالله. سأتعامل مع المسألة كالتالي:

التعدُّد شرعٌ من الله: كالصلاة، والصيام، والصدق، وبر الوالدين.

ووقوعه قضاء الله: كالإنجاب، والزواج، والمرض، والحريق، والموت.

فهل يجوز شرعًا أَنْ أستثقل وأكره شرع الله قبل وقوعه، وأنْ لا أرضى بقضاء الله بعد حصوله؟

لا أريد أنْ أقيس مباشرةً على التعدُّد، سأقيس على الصلاة كشرعٍ لله، وعلى الموت كقضاءٍ لله. هل يجوز أن أستثقل الصلاة وأكرهها وأحقد عليها، مع أنني سأصلي، ولكن هذا شعوري تجاهها؟ وهل يجوز أن لا أرضى بالموت وإنْ لم أَبْكِ أو أفكر بالانتحار، ولكني أرى أن الذي وقع خطأ أو ليس خيرًا وأسخط؟

سنبدأ بتقرير ما ينبغي لنا في حق شرع الله.

التسليم لشرع الله: علامة الإيمان الصادق...

القاعدة القرآنية في هذا الباب هي قول الله -عز وجل-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤-٦٥].

فالرسول يأتي بتشريع من الله للناس، والبشر فيهم ظواهر وبواطن. فأما ظواهرهم فتطيع الرسول وتمتثل، وأما البواطن فتُسلِّم. وأقسم الله بذاته العَلِية القدسية على أنه لا يؤمن مَن لم يسلم باطنه لشرع الله ويشرح صدره له ويحبه.

لعلَّكِ تقولين: (ولكن الله نصَّ في كتابه على أن شريعته ثقيلة كبيرة، وتكرهها النفس!)... واسمعي للآيات التالية:

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[1]. فكيف سنراها خفيفة؟

---

(١) رواه مسلم (٧٣٠٨).

حكمة التكاليف وثمارها...

أقول: وكيف تريدين لشرع الله أن يكون خفيفًا بلا ثِقَل؟ كيف تكون الجنة الأبدية جزاءً لشرع لا تبعات ولا مسؤوليات معه؟ كيف يظهر المؤمن الصادق من الكافر المنافق إنْ لم يكن الشرع محتاجًا للتضحية؟ كيف تتربَّى النفوس وتصقل القلوب وتتقوَّى العزائم إنْ كان الشرع لعبًا ولهوًا؟

إنه كامتحان المدرسة الذي مهما سهَّله الأستاذ احتاج إلى دراسةٍ، فالأستاذ لن يسأل في الامتحان: (ما اسمك؟ .. كم عمرك؟ .. أين تسكن؟)؛ كي يُميِّز الطلاب ويفيدهم.

وهو أيضًا كالحَمْل الأول عند المرأة: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]. فهل معنى (كرهًا) هنا أنها ستَحقِد على الجنين وستقتله، وتتمنَّى ألَّا يكون؟ كلا، فهو ثقيل بتَبِعاته، محبوب لذاته وهباته. وهكذا الشرع تمامًا كالأجنة التي نحملها، نتعب من حملها... ولكنه تعب لذيذ ممتع، لا نتمنى أنه لم يكن، أو أنه كان غيره... بل نرضى به هبة من الله وتحبه أنفسنا مع ثِقَله الذي ندافعه بالصبر والمصابرة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

خطر كراهية شرع الله...

لن يكره الشرع إلا مَن لم يرضَ بالشارع، ولا يتَّصف بذلك إلا كافر موعود بالنار. فقد ذكر الله أقوامًا كرهوا الشرع وأنكروه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٨-٩]. نعوذ بالله.

وقال -جلَّ في علاه-: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢]. ولو كان الشرع على ما نَهوَى وما نحب لفسدت الدنيا والآخرة: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات:

﴿.

والمؤمن في كل حال يرى ما شرعه الله دَربَ رشادٍ وهُدًى للعباد، وهذا مِنَّة من الله القائل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

كم تشريعٍ صعبٍ... امتحن اللهُ إيمانَ الرجل فيه... شَرَعَ أنه مُجبَر أن يُقدِّم نفسه ليدافع عنكِ في الجهاد... وشرع المهر في الزواج... والمتعة في الطلاق... وشرع الميراث الذي لم تكوني تحصلين عليه لولا الإسلام... وشرع الطلقات الثلاث... وشرع بر الوالدة وغيرها.

لا تُضيِّعي إيمانك من أجل رجل...

أعيدي النظر في رضاكِ بهذا التشريع، فالمسألة مسألة إيمان وكفر ليست بالهينة. فلا تُضيِّعي إيمانك من أجل رجل. ارْضَيْ بالشرع كما رضيتِ بالله مُشرِّعًا وربًّا مُدبِّرًا، وقولي: إياك نعبد وإياك نستعين، وسَلِّمي تسليمًا.

لقد خفَّف الله علينا في كثيرٍ من الأمور؛ فلم يكتب علينا الجهاد، ولا الجمعة، ولا الجماعات، ولا الصلاة في الحيض والنفاس، ولا الحج بغير محرم، ولا الفتنة بالشهوة الشديدة كما هي لدى الرجال. لقد خفَّف علينا في كل أمر. أفإذا وقع بلاء خفيف كهذا؟! نسخط ونكفر بالله؟ وتسمعين مَن قالت: (إن الله ظالم!!)، كل هذا من أجل ماذا؟ من أجل ذواتنا أم من أجل رجل؟!

تذكَّري أن الله يريد ما تريدينه أنتِ... أن تقلَّ زيجات الرجال... يريدكِ قُرَّةَ عينِ زوجكِ التي لا يبحث عن غيرها، ولهذا دلَّكِ على مفاتيح قلبه... كما أمر الرجال بذلك الدعاء... وشدَّد على شروط التعدُّد... فاشكري الله على كلِّ قَدَرٍ. فإذا قرَّت عين زوجكِ ولم ينظر لغيركِ... فأنتِ قَرَّت عينُكِ في الدنيا والآخرة... فمَن المسكين حقًّا؟!

التعدد: نظرة جديدة للغيرة...

بعد ما قرَّرناه سابقًا، دعينا نفكرُ في التعددِ من جهاتٍ مختلفة لنُغيِّر نظرتنا عنه.

فإن النظرةَ الواحدةَ لموضوعٍ ما تجعلُه جامدًا مغلقًا، وما أجملَ أنْ نفتحَ لعقولِنا آفاقًا جديدة!

أولًا، أريدُ أنْ أقولَ لكِ: لا تقتلي غيرتَكِ وغاري. وهذا أمرٌ لا يُعابُ على امرأةٍ، بل هو الدليلُ على أنكِ امرأةٌ. ولا تنسي أنِّي فتاةٌ مثلي مثلُكِ، وغيرتي لا أُبديها وأقاومُها كأي صفةٍ ذميمةٍ أو مُضرَّةٍ، وأجعلُها سببًا لتحسُّني وزيادةِ جميلِ أفعالي..

غيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا...

بل اسمعي ماذا كانتْ تفعلُ أمي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حينَ تغارُ، ففي حديثٍ يقولُ الراوي عنها: «فَافْتَقَدَتْهُ -أي: رسول الله- فَغَارَتْ. فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَهَا بَيْنَ الْإِذْخِرِ -وهو نوع من الشوك- وَتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي، رَسُولُكَ وَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا!»[1].

الغيرة: دافع للتحسين...

فإذا تزوَّج زوجُكِ؛ فلا تجعلي ليلتَه عتابًا وهمًّا وغمًّا، فيتمنى أنَّه طلَّقكِ، لا أنَّه فقط تزوجَ عليكِ. وتذكري أنَّ اللهَ ركَّبَ الغيرةَ في النساءِ لتحسُنَ أخلاقهنَّ، وإلا لَوْ لم يضعها لَمَا بالَتِ امرأةٌ بخُلُقها ولا بنظافتها ولا بصفاتِها؛ لأنه لو تزوجَ غيرها فلا يُهمُّها... فالله وضعَ الغيرةَ ليُصلِحَ حال النساءِ ويتنعم بهنَّ الرجال، وتخاف كل واحدة على نفسها.

أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «عائشة»[2]. وهي التي لو غارتْ لَمَا لامها أحدٌ، فزوجُها رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيرُ الخَلْقِ ومعلمِ البشرِ، حبيبُ اللهِ وعبدُه، لا أبا محمد أو أبا عبد الله أو أبا فلان. إنَّها قدوةٌ حقيقيةٌ لكلِّ نساءِ الأرضِ في أنْ لا نجعلَ الغيرةَ سببًا للتقصيرِ في حقِّ الزوجِ أو معصيةِ اللهِ في الضرائرِ.

وعندما حاولت هي وأُمِّي حفصةُ، واضطرتا النبي ليُحرِّم على نفسِه ما أحلَّهُ اللهُ، كما في

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (٢٤٤٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

حديثِ العسلِ الطويلِ المتفق عليه[1]؛ أنزلَ اللهُ آيتين شديدتين فيهما، وهو قوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا﴾ [التحريم: ٤-٥].

فكيف بمَن كادت لزوجها وأُمِّه وزوجته وعياله من زوجته، وظلمت واعتدت وبطشت وما رحمت؟ فتُوبِي إلى اللهِ أيتها المقصِّرةُ في حقِّ زوجِكِ. وتأمَّلي ما أنزلَ اللهُ في زوجتي النبيّ حينَ احتالتا لغيرتِهما من حبِّه لعسل أمِّنا زينبَ -وهو أمرٌ قدْ نستصغرهُ مقارنةً بما تفعلُه نساءُ اليوم- وكيفَ أمرهن اللهُ بالتوبةِ، وسمَّى ما فعلتاه زيغًا وميلًا في قلبيهما، وأنَّهما إنْ بقيتا على ما هنَّ عليهِ ولَمْ ترعيا حقَّ الزوجِ، فاللهُ سيتولاهُ وكلُّ مَنْ آمنَ في السماءِ والأرضِ، وأنه سبحانَه قَدْ يبدله أزواجًا خيرًا منهنَّ يَرعَينَ حقَّه.

فعظِّمْنَ خطر الغيرة... واتقين شرَّها...

عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «دعتني أمُّ حبيبةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا عندَ موتِها فقالَتْ: قَدْ كانَ يكونُ بيننا ما يكونُ بين الضرائر، فتُحلّليني من ذلكَ. فحلَّلتها واستغفرت لها. فقالَتْ لي: سررتني سرَّكَ اللهُ. وأرسلتْ إلى أمِّ سلمة بمثل ذلك»[2].

رضي الله عنهنَّ، وجمعَ شملَ أبناءهنَّ بهنَّ، فهُنَّ أمهاتُ المسلمينَ، هكذا كنَّ في تقديمِ الآخرةِ على الدنيا ونعيمها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

الحور العِين والتعدُّد في الجنة...

سأفرضُ الآنَ أنكِ حوراءُ حقيقية، لستِ من أهلِ الأرضِ بل من حورِ الجنةِ، حلمُ كلِّ رجلٍ. هل هناكَ حوراءُ لا تشاركها أيُّ امرأةٍ أخرى في الجنةِ؟ بَلْ إنَّ أقلَّ ما يُعطى أهلُ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٤٧٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٧٧٣)، وفي «طبقات ابن سعد».

وانظري تفاصيل قصتها الطويلة مع الغيرة وضرتها في كتابنا «غيرتي غيرتني».

الجنةِ منةً مِنَ اللهِ لهم زوجتان فما يزيد: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤].

ففي خصالِ الشهيد: «ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجةً من الحور العين»(١). واسمعي هذا الحديث: «أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دُرِّيّ في السماء إضاءةً، قلوبُهم على قلب رجل واحد، لا تباغُض بينهم ولا تحاسُد، لكلِّ امرئٍ منهم زوجتانِ من الحور العين، يُرَى مُخُّ سُوقِهنَّ من وراء العظم واللحم»(٢). ولفظ (زوجتان) لا يمنعُ وجودَ غيرِهما، ولَكِنْ بأوصافٍ أخرى.

وانظري هذا الحديثَ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «مَن كظم غيظًا وهو قادر على أَنْ يُنفِذَه؛ دعاه الله -عز وجل- على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيِّره الله من أي الحور العين شاء»(٣). فهذا بلا عدد. وجميلٌ أن أذكرَ لكِ أنَّ الشهيدَ قبلَ أنْ يدخلَ الجنةَ وتقومَ القيامة، بل عند أولِ قطرةٍ من دمه، يتنعَّم بزوجتين. واسمعي: «فإنَّ أول قطرة تنضح من دمه تكفر عنه كل شيء عمله، وينزل إليه زوجتان من الحور العين يمسحان التراب عن وجهه، ويقولان: قد أَنَى لك، ويقول: قد أَنَى لكما»(٤).

لا بل فوق هذا، ليسَ فقط السابقينَ المشمِّرينَ هم مَن لهم زوجتين، بل إنَّ آخرَ أهلِ النارِ خروجًا منها له زوجتان. قال رسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنَّ أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً رجلٌ صرفَ اللهُ وجهه عن النارِ قبل الجنة ومثَّلَ له شجرةً ذاتَ ظلٍ، فقال: أَيْ ربِّ قدِّمني إلى هذه الشجرةِ أكونُ في ظلِّها... فيقولُ: يا بنَ آدم؛ ما يصريني منك -أي: شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك- ... ويُذكِّره الله: سَلْ كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني؛ قال الله: هو لكَ وعشرة أمثاله. قال: ثم يدخل بيته، فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياكَ لنا، وأحيانا لكَ. قال: فيقول: ما أُعطِي أحدٌ مثل ما أُعْطِيتُ»(٥).

---

(١) رواه الترمذي، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٣٠٨١).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، وحسَّنه الألباني.

(٤) رواه الطبراني، وذكره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٧٧).

(٥) رواه مسلم (١٨٨).

وفي حديثِ الذي دخلَ الجنةَ ولم يركع ركعةً؛ فقد استُشهدَ بعد إسلامِه؛ قال: «لقد حَسُن إسلام صاحبكم، لقد دخلتُ عليه وإنَّ عنده لزوجتين له من الحور العين»[1].

كلُّ ذلك لا يهم المسلمة؛ فهي لم تُخلق لتقاتل وتحارب وتجاهد... كي تكون وحدها لا شريك لها في قلب زوجها، بل خُلِقت ليكون ربُّها وحده لا شريك له في قلبها... فتنال رضاه. قد تقولين: (وماذا عني؟ لماذا لا يكون لي عدة أزواج في الجنة؟) أقول لكِ: إن كانت نفسكِ الغريبة تشتهي ذلك... فلأهل الجنة ما يشتهون وما يَدَّعون. ولكن أمَّا عني أنا، فلو أراد ربِّي ألَّا يزوجني في الجنة أصلًا... فسعادتي فيها أَنْ أسجد تحت العرش وأحمده بكل مَحَامد البشرية، وكل ثناءٍ حَسَن، وكل شكر المتَنِّ... وأن أراه... ولا أبالي بعد ذلك بشيءٍ.

لماذا التعدُّد؟

فما رأيكِ الآنَ؟ ما عذركِ؟ لسنا أحسنَ مِنْ عائشةَ، ولسنا أفضلَ من الحوراءِ. ولم يَعِبْ أو يَنقصْ من قَدرهِما شيئًا -ولو رمشَ عينٍ- أنهنَّ اشتركنَ مع أُخْرَيات في رجلٍ واحدٍ. فلماذا كلُّ هذا الرفضِ وهذا الجنونُ عندما يفكرُ الرجلُ بالزواج من الثانيةِ؟ حقًّا لماذا؟

لماذا تكرهينَ أنْ يتزوجَ زوجُكِ عليكِ؟ لا تريدينَ أنْ تشاركِكِ امرأةٌ فيه! لا تريدينَ أنْ ينظرَ إلا إليكِ! تريدينه أنْ يحبكِ وحدكِ! مَطَالبٌ لا تُلامينَ عليها، وأيُّ امرأةٍ لا تحبّ أنْ يحبها زوجُها وأن تبقى فاتنةً في عينه. ولكن اسألي نفسكِ: لماذا يريدُ الزوجُ المرأةَ الثانية؟ ليُعفَّ نفسَه ولكيْ لا تتطلعَ نفسُه للحرامِ مع الفتنِ المنتشرةِ، وكَيْ لا ينظرَ إلى ألفٍ وألفين، بل يكتفي بكِ وبزوجتِه الثانية. أيُّ المطلبين في رأيكِ أحقُّ بالرعايةِ وأشدُّ إلحاحًا وأهمُّ شرعًا؟ مع العلمِ أنَّ تحققَ المطلبِ الثاني لا يعني انتفاءَ المطلبِ الأولِ، ولكِنْ قَدْ يَنتقصُ منهُ مقدارًا ضئيلًا.

وهذا يُذكِّرني بالحديثِ الذي حدَّثَتْ فيه أمي عائشة عن أعجبِ ما رأتْ من النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فمما قالت: «لَمَّا كان ليلة من الليالي قال: يا عائشة ذريني (أي: دَعِيني

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٢٦٠٩).

واتركيني) أتعبد الليلة لربي. قلت: والله إني أحب قربك وأحب ما يسرك. قالت: فقام فتطهَّر، ثم قام يصلي»[1]. أنتِ تحبينَ قربَه نعمْ، ولكنكِ تحبينَ ما يسرُّه كذلكَ، وتقدمينَ محابَّه. وإنْ كنتِ تكرهينَ زوجكِ... فها قد أتى ما يريحكُ من حقوقِه بعضَ الوقتِ.

فوائد التعدُّد للزوجة الصالحة...

هل فكرتِ يومًا في فوائدِ الزواج بالثانيةِ؟ هَلْ تعلمينَ أنَّه قد يزيدُ من حبِّ زوجِكِ لكِ، ويريه قَدرَكِ ومَن أنْتِ فوقَ ما كانَ على أضعاف؟ هذا على افتراضِ صدقِ ما ذكرتِ من أنكِ خدمتهِ بعيونكِ وحفظتِ كل حقوقِه، فلَمْ يكن زواجُه بسببِ تقصيركِ. فأنتِ صالحة... ومع ذلكَ لَمْ يُقدّرْ صنيعكِ وتزوجَ الثانية. فعندها سيُقدِّرُ.

إنَّ وجودَ المرأة الصالحة في هذا الزمانِ نادرٌ، ولكِنْ لأنَّ زوجكِ لَمْ يُجربِ النساءَ ولَمْ يُجربْ سواكِ، فلا يعلمُ سُوءَهنَّ وقبحَ أخلاقهنَّ. لذلكَ لا يقدرُ ما تصنعينَ لأجلِه. فإذا ذاقَ المرارةَ، شكرَ العسلَ. ولا تُعرفُ الأشياءُ إلا بضدها. ولا يُقدِّر حق الفتاةِ المميزة إلا المتزوجُ لأنه جربَ. لكن حذارِ أختي من أنْ تنقلبَ الصورةُ، فيعرَفَ قبحكِ بحسنِ تعامُلها، وغِلْظتكِ برقَّتِها. أحسني الخُلُقَ ما استطعتِ، حافظي على الدلالِ والرقةِ والمرحِ مع الحكمةِ والحنانِ، كي لا تخسري المعركةَ مع امرأةٍ من الدنيا، وتخسريها مع مَن هي أهمُّ من كل نساءِ الأرضِ، مع الحوراءِ العَيناءِ أميرةِ السماءِ.

استغلال الوقت في رعاية الذات والأسرة...

ليس هذا فقط، إنَّ طولَ الفترةِ الزوجيةِ وكثرةَ المسؤولياتِ المترتبةِ على عاتقِ الزوجةِ الصالحةِ، تجعلُ المرأةَ تهملُ في حقِّ ربِّها وثقافتِها واطِّلاعها وإبداعاتها المتجددة، وحتى تركيزِ الاهتمامِ بالأولادِ والاستماعِ لمشكلاتهم ومراقبة أحوالِهم. ففي كلّ يومٍ عليها أن تستيقظَ للصلاةِ مع زوجِها، ولَنْ تتمكنَ من التفرغِ بعد الصلاةِ؛ لأنّها ستحضِّرُ فطورَه ولباسَه مع رسالة ودٍّ ودعاءٍ وحبٍّ لزوجِها، وتجلسُ معه للفطورِ وتودعُه بابتسامتها. فإذا خرجَ أعدَّتِ الأولادَ وشطائرهم مع أكوابِ الحليبِ، وألبستهم وسرحتْ شعورَهم،

---

(١) رواه ابن حبان (٦٢٠)، وصححه الأرنؤوط.

وأوصتْ كلَّ واحدٍ بتقوى اللهِ مع الدعاءِ لَهُمْ. ثُمَّ ستشتغلُ بتنظيف الأطباق والمسح والشطفِ والكنس والترتيب و... و... و... إلخ. يؤذنُ الظهرُ، فإنِ استقبلتْ ضيفةً كزيارةٍ متوسطةٍ ساعةٌ ونصفُ الساعة، فقَدْ ضاعَ نصفُ النهارِ. وبعدَ الظهرِ ستعدُ طعامَ الغداءِ لزوجِها، ولأنَّها زوجةٌ صالحةٌ فقَدْ تضيفُ إليهِ بعضَ اللمساتِ الفنيةِ. وستنشغلُ بتسريحِ شعرِها وإصلاحِ زينتِها ونظافة جسدها مع اختيارِ ما يناسبُ من اللباسِ وتطييبهِ، فينتهي الوقتُ. وبالطبعِ عندَ رجوعِ الزوجِ من العملِ لَنْ تمسكَ كتابًا لتقرأه وحدها وهو ينظرُ لها، فهذا يعني عند الرجلِ أنكِ أهملتِه. وفي الغالبِ أوّلُ ما يقولُه: (اقرئي وأنا خارجَ المنزلِ). وإن حاولتِ مشاركته في القراءةِ، قد يستمعُ خمسَ دقائقَ، ثُمَّ يقولُ: (أنا متعبٌّ، أَجِّليه لوقتٍ آخر). وبالطبعِ أنتِ مثله متعبةً من العملِ، وستساعدينَ الأولادَ في مذاكرتهم. وعملٌ من هنَا أو هناكَ حلَّ المساءُ، وحانَ وقتُ النومِ لتفرشي للجميعِ، وتُذكِّريهمْ بأدعيةِ النومِ، وينتهي اللَّيلُ والنّهارُ.

فما أجملَ أن تأخذي استراحَةً، فيكونُ يوم لزوجكِ ويومٌ لربكِ. ففي اليومِ الذي لَنْ يكونَ به عندكِ ما أجمل أن تحفظي بعضَ الآياتِ بعد الفجرِ، وتقرئي تفسيرها وتدعينَ بتضرعٍ وبكاءٍ، وينشرحَ صدركِ، وتُصَلِّينَ الضحى حتى يستيقظَ الأولادُ، يَرَونَكِ على السجادةِ فتكونينَ قدوةً لهم. وتُجهِّزينهمْ فينطلقونَ. تستغلين ذلكَ الوقتَ الذي كنتِ ستقضينه في التزينِ والتجمُّلِ في قراءةِ بعضِ الأحاديثِ من «صحيح البخاريِّ»، أو بعض كتبِ الإعجاز العلميّ أو البيانيّ في القرآنِ، أو قصصِ الصحابةِ والتابعينَ. وحتى لو لَمْ تُحبِّي ذلكَ، فاقرئي آخرَ أنواع الأطعمةِ أو أشكال المكياج[1] أو الأبحاثِ المتعلقةِ بالأفكارِ التي يمكنكَ تطبيقها في التربيةِ أو التعاملِ مع الزوجِ والأطفالِ.

وعند عودةِ أطفالِكِ، تجلسينَ معهم كلُّهم وترينَ مواهبهم وتنمِّينها: (أنتَ يا بُنَيّ اقرأ سورةَ كذا، أوْ انشدْ لي شعرًا. وأنتِ يا صغيرتي ما رأيكِ أنْ تعطينا درسًا قصيرًا عن الخُلُقِ؟)... وتمهلينهم عشر دقائقَ ليجهزوا مشهدًا قصيرًا يتحدَّثون فيه عن أمرٍ تطلبينَه،

---

(١) دون أن يكون ذلك من مجلات نسائية خليعة، فأحيانًا توجد مجلات ملتزمة تُعنَى بذلك، فتشرح الطريقة على رسم عين غير حقيقية.

ويلبسون المناسبَ ويؤدونه أمامكِ مع توجيهكِ الحاني. ثم تسألينهم عن أيِّ مشكلات واجهتهم، يحبونَ أن يطرحوها في مجلسٍ تسمينه مثلًا فقرة (مجلس الشورى). وابدئي أنتِ أوّل المراتِ بطرح مشكلةٍ منكِ واطلبي حلَّها منهم، وساعديهم، ثُمَّ هُمْ سيتشجعونَ في المراتِ القادمة... ولا مجالَ للتفصيلِ أكثرَ، ولعلي إنْ أعانني الله ومكَّنني أطرحُ كيفية تربيةِ الأولادِ التي ستتبعها المرأةُ الصالحةُ في حياتِها في كتابٍ مستقلٍّ معتمدًا فيه على الأحاديثِ والآياتِ والتجربةِ، وأسأل الله التوفيق...

فالمهمُّ أنكِ ستتمكنينَ مع قليلٍ من التفرغ من فعلِ الأشياءِ التي كنتِ لا تتمكنينَ من فعلِها فيما سبقَ. أَلَيسَتْ هذه فائدةٌ يجبُ أن تلتفتي لها؟

وهم الاكتفاء التام...

ما أَسْوَأَ أنْ تظنَّ المرأةُ في نفسِها القدرةَ على أنْ تكفي الرجلَ كليًّا! ولكنْ سدِّدوا وقاربوا، ونحاولُ جهدَنا أنْ نسدَ ما استطعنا من أبوابِ الفتنِ والمعاصي على أزواجنا، ممتثلين قولَ اللهِ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. فالمرأةُ لا تستطيعُ أنْ تسدّ كلَّ حاجاتِ الرجلِ. وقَدْ قالَ والدي كلمةً ما زالتْ في بالي منذُ الصغرِ، قال مرةً لأختي عندما قرُبَ زواجُها في جملةِ وصاياه: (اعلمي بنيتي أنَّه لا توجدُ امرأةٌ واحدةٌ تكفي الرجلَ، ولكنّ الرجالَ يتصبرون)... يريد بذلك أنَّ الزوج صابر على القليل... لأنه حلال... فلا تُقلِّليه أكثر بالكبر والخصام والعتب والاعتذار.

إنْ أكثرَ الرجلُ من طلبِ المرأةِ... ستبدأ تنظرُ إليهِ بنظرةٍ غريبةٍ على أنَّه لا يريدُها إلا لحاجته، وستقولُ: إنّه لا يهتمُ بمشاعرها ونفسيتها، فقط بجسدها. بل ليسَ ذلكَ فقطْ، أسبوعٌ قَدْ يزيدُ أو يقلّ من كلّ شهرٍ استراحةً للزوجِ بسببِ عادتِكِ، مع مراعاةِ وجودِ أيامٍ قَدْ تمرضينَ بها أوْ تنامينَ بها عندَ أَهلكِ، ويبقى وحيدًا لأنّه لا يريدُ أنْ يزعجكِ ويرفضَ طلبكِ. وتضيفُ المرأةُ إلى ذلكَ رفضَها إنْ كانتْ متعبةً... أوْ كانَ مزاجُها مُعَكَّرًا... أوْ غضبتْ منه، فتنامَ يومَها دونَ مراعاةٍ له...

واللهِ إن الذي يكتفي بواحدةٍ لمناضلٌ مجاهدٌ مُتصبِّرٌ.

هاجر -عليها السلام- مثال الرضا والتوكل...

ولو كان زوجي ملكًا فلن أضيع ربي لأجله. ولي في أمي هاجر قدوة، فغيرة سارة جعلت من سيدنا إبراهيم ينقلها لمكَّة وحيدةً هي وابنها وقربة ماء[1]. ولكنها رضيت بالله. مع خسارة زوجها النبي، ففجَّر الله لها نبعًا لم يَجِفَّ لليوم، وجعل بيتها مزارًا للعالمين لا يفرغ لا في ليل ولا نهار لليوم، وجعل ممشاها أثرًا نسلك خلفه في كل عمرة أو حج. وكفى بالله حسيبًا ووكيلًا وحبيبًا.

نصيحة: إدارة الغيرة بذكاء...

أمر أخير: أنا لا أطلب منكِ أن تذهبي وتخطبي لزوجكِ أو تطلبي منه الزواج، ولكن كان هذا الباب تحذيرًا لكل مَن قد تُبتلى بزواج زوجها، أن تحذر من قولٍ يُخرِجها من الملة، أو فعل يُخلِّدها في سَقَرٍ، أو ظلم تَلْقَاه ظُلُمات يوم القيامة.

واعلمي أنَّ غيرتكِ تُظهِر لزوجكِ أنكِ ضعيفة، ولكنَّ هدوءكِ قد يُشعره بأنكِ لا تجدين ما يفضل أخرى عليكِ. وحتى لو غِرتِ وأظهرتِ ذلك ثم حاولتِ تقليدها، فستكونين نسخة، والفضل دومًا للأصل. ولكن إن غرتِ بصمتٍ ورأيتِ زوجكِ ينظر للباس معين، فأحضرتِ مثله أو لبستِه في نفس اليوم، فسيقول في نفسه: (إنها حقًّا تفهم ما أريد وما أتمنى).

ربِّ أعِنِّي وَلا تُعِنْ عَلَيَّ... وَانْصُرْنِي وَلا تَنْصُرْ عَلَيَّ... وَامْكُرْ لي وَلا تَمْكُرْ عَلَيَّ... وَيَسِّرْ هُدَايَ وَانْصُرْنِي على مَنْ بَغَى عَلَيَّ... رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا، إِلَيْكَ مُجِيبًا مُنِيبًا... تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي... وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي.

---

(١) انظر ما رواه البخاري برقم (٣٣٦٥).

وبعد؛ منذُ بدايةِ الكتابِ وأنا أعاتبُ المرأةَ وأحاورها وأناقشها وأحثُّها على الإحسانِ والإبداع والصبرِ والثباتِ. وحانَ دورك أيها الرجلُ. ربما يزعجك أنِّي امرأةٌ وتتهمني بأني أتجاوزُ مكاني حين أخاطبكَ في هذا البابِ، ولكنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

لطالما أدى الرجالُ المؤمنونَ هذه الولايةَ في حقِّنا، وأمرونا بالمعروفِ ونهونا عن المنكرِ. كَمْ خطبتمونا في المسجدِ وعلى القنواتِ وفي الإذاعاتِ، وكَمْ ألَّفتم لنا الكتبَ المفيدةَ، فقرأنا كلامَكم واستوعبنا خطبَكم واتعظنا بوعظِكم. أفلا يجوزُ لي ولو للحظاتٍ قصيرةٍ أن أؤديَ دورَ المؤمناتِ في هذه الولايةِ وأُذكّركَ ببعضِ الأمورِ التي لا مصلحةً حقيقية ملموسة لي شخصيًّا في تطبيقكَ لها، ولكنها قد تثمرُ السعدَ على حياتكَ، وتزيدُ من حبِّ زوجتك لك ومِن حرصِها على رضاكَ؟

إنْ لمْ يُهمّكَ ذلكَ، فعلى الأقلِّ ستزيدكَ قربًا من اللهِ لقولهِ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، و﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، و﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ١٩]. وكل ما ستسمعُه جزءٌ من ذلكَ المعروفِ الذي هو لنا.

فاسمحْ لي أن أعرضَ عليكَ بعضَ الأمورِ عرضًا ولا أفرضها فرضًا. فما راقَ لكَ منها فخُذْ بهِ واعملْ لتحصله، وما لم يَرُقْ لكَ فأقلّ ما أرجوهُ منكَ أنْ لا تندمَ على قراءتهِ وتفيدَ غيركَ ممن قد يروقُ لهم. وهذا البابُ لنْ أخاطبكَ به منفردًا، بل كلّ بابٍ منهُ تشتركُ فيه مع المرأةِ، فلنْ أخصكَ بأمرٍ على الأغلبِ. ولذلكَ قلتُ في رأسِ البابِ: (واسمعيها أنتِ أيتها المرأة). وأسأل اللهَ أنْ يؤلفَ بين القلوبِ وينشرَ السعدَ في بيوتِ المسلمين.

ما أجملَ الكذب!

سامع العنوانِ سيقولُ: (لا بدَّ أنَّ الكاتبةَ مجنونةٌ! قالتْ: إنَّها ستأمرُ بالمعروفِ، وها هي تُزيِّنُ لنا المنكرَ؟) قبلَ أنْ أُوضّح لكما سببَ هذا العنوان، أريدُ أنْ أسألكما سؤالًا:

- أليسَ الإسلامُ إما حلالٌ وإما حرامٌ[1]؟

- بلى.

- حسنًا، لو حرَّم اللهُ أمرًا، فهَلْ يجوزُ لي ولكَ أنْ نفعله أوْ نقربه؟

- بالطبع لا.

- جيد، لو أنَّ اللهَ استثنى حالةً فحلّلَ لها ما كانَ محرّمًا، كما حلّلَ أكلَ الميتةِ لمنْ أهلكهُ الجوعُ ولمْ يجدْ غيره، فهلْ سيكونُ تحليلُه هنا عبثًا أو لسببٍ سخيفٍ أو لحاجةٍ غيرِ مُلِحَّةٍ أو لغيرِ حكمةٍ؟

- بالطبع كلا.

- جميل، ولو أنَّ هذا الذي حُلِّلَ له هذا الحرامُ امتنعَ عنهُ فهلكَ أو تضرَّرَ، فهَلْ يعذرُ أم يأثم؟

- بل يأثم.

- أحسنتما، نعودُ للكذبِ. إنَّ الكذبَ محرمٌ في كلّ الشرائعِ، وحذّر منهُ إسلامُنا بل جعلَه هاديًا للفجورِ والنارِ. ولكنَّ اللهَ حلَّله في ثلاثةِ مواطنَ؛ منها: «وَحَدِيثُ الرَّجُلِ

---

(١) هذا التقسيم الأصيل قبل ظهور التقسيم الخماسي: (واجب، مندوب، مباح، مكروه، حرام)، ويدل عليه عدة أدلة:

- قول الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

- قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فانْظُرُوا مَا أَمَرْتُكُم بِهِ؛ فاتبِعُوه مَا استطعتُمْ، وَمَا نَهيْتُكُم عَنْهُ فدعوه أو ذَرُوه». رواه أحمد وابن ماجه.

- قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ الله حدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض؛ فلا تُضيِّعوها، وحرَّم أشياء؛ فلا تنتهكوها، وترك أشياء من غير نسيانٍ من ربكم، ولكن رحمة منه لكم؛ فاقبلوا ولا تبحثوا فيها». رواه الحاكم في «المستدرك»، والطبراني في «معجمه الكبير» و«الأوسط».

امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا»[1]. فهل حلَّله لمجردِ التحليلِ أمْ أنّ ضرورةً مُلِحَّةً ومصلحةً غالبةً وحكمةً عظيمةً كانتْ من وراءِ التحليل؟!

الكذب المباح وحفظ المشاعر...

دعنا نتخيلُ زوجينِ صادقينِ لا يكذبانِ مطلقًا، الزوجةُ دميمةٌ والزوجُ دميمٌ. فسألتْ زوجها: (كيفَ تراني؟) فأرادَ أنْ يكونَ صادقًا فقالَ لها: (يا حبيبتي، كلُّ النساءِ في العالمِ أجملُ منكِ. يا أقبحَ مَن شاهدَتْ عيني!)...

إذا سَفَرْتِ كانَتْ بعينكِ سخنة ... وإن برقعْتِ بالفقر في غاية الفقر[2]

وإن حدَّثْتِ كانتْ جميعَ مصائب ... مُوَفِّرَةٍ تأتي بقاصمةِ الظهر[3]

حديث كقلع الضرس أو نتف شارب ... وغنج كحطم الأنف عيل به صبري

وتفتر عن قلع عدمت حديثها ... وعن جبلي طي وعن هَرمَي مصر[4]

فردَّتْ عليه: (يا سيد القبح والدمامة، لو رآكَ الأسد لفَرَّ رعبًا، مُتَرَجِّيًا دَربَ السلامة. ما أظنُّ قول الله: ﴿**لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا**﴾ [الكهف:٨] إلا وصفًا لكَ كما كانت لهم)...

فكأنه عفريت جن أحمر ... أو غول صحراء الظلام لقد بدا

فعيونه وحشٌ مخيفٌ أشعث ... فاق الدمامة قبحُه وتسيَّدا[5]

أتُرَاهما فَعَلَا خيرًا؟ كلا. لأنَّ صدقنا في الحفاظِ على مشاعرِ الآخرينَ وتقديرِ ذواتِهم هو الأهمّ.

لا تكذب على زوجتكَ قائلًا لها: (سأحضرُ لكِ أغلى القلائدِ)، ولكنْ قلْ لها: (أنتِ أغلى امرأة في حياتي)... لا تقولي لزوجكِ كذبًا: (أمي مريضةٌ سأزورها)، ولكِنْ قولي له:

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠٥).

(٢) أي: تكشفت أو كانت لابسة لا تثير أحدًا، بل يُفقِر الرجل منظرها.

(٣) أي: أن سماع كلامها مصائب متتالية، تَهُدُّ الظهر، وتُثقِل الكاهل.

(٤) أي: إذا فتحت فمها ترى قِلَاعًا وجبالًا وأهرامًا؛ كنايةً عن قُبْح منظر أسنانها وقبح فمها.

(٥) للكاتبة.

(حينَ تغيبُ عني أمرض وزيارتك دوائي)... لا تقل لها: (أمي أجمل منكِ) وإنْ كانت حقيقةً، وقُلْ لها: (أنتِ أجمل زوجة)، وقل لأمك وحدها: (أنها أجمل أم)... لا تقولي لزوجكِ: (أبوك أقوى منك)، قولي له: (قوتك تشعرني دائمًا بالأمان يا أقوى حبيب)... لا تقل: (الطعام لا يعجبني)، وقل: (إنَّ أشهى الطعام ما أكلتُه من تحت يدكِ، ولكني لم أَعْتَد هذا النوع، وإنْ كنت أظن أنه لذيذ ككل طعامكِ)... لا تقولي لزوجكِ: (لون القميص الذي اشتريته لي رديء)، وقولي له دائمًا: (أنتَ صاحب ذوقٍ، والدليل على ذوقك أنك اخترتني).

ما أجملَ الكذبَ حين يرفعُنا من مرارةِ الواقع إلى عالمِ الأحلامِ، وحينَ يُخرِجُنا من سجونِ الإحباطِ إلى قصورِ الثقةِ!! ما أجملَ الكذبَ حينَ يكونُ صِدقًا، والصدقُ حين يكونُ كذبًا[1]، ويمتزجا ليمسحا عرقَ التعبِ والمشكلاتِ!!

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّ رَجُلا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أَكْذِبُ امْرَأَتِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ». فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَعِدُهَا وَأَقُولُ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لا جُنَاحَ عَلَيْكَ»[2].

لا جناحَ عليكَ، فلا ترى الجميلَ من زوجتكَ وتبقى صامتًا. قدِّرْ واشكُر وامدَح وشجِّعْ ونادِها: حبيبتي. وأنتِ لا جناحَ عليكِ، عظِّمي كلّ عملٍ ولو كانَ صغيرًا، واشكري كلّ دعمٍ ولو كانَ حقيرًا... فالكلامُ الحسنُ وَقودُ شمعةِ الحبّ، فتكلَّما.

ماذا يقولون عنا؟

عدتَ من المنزلِ مبكرًا ودخلتَ المنزلَ وسلَّمتَ، فلمْ تُجِبْ زوجتُك... فدخلتَ وتسمَّعتَ مِن خلفِ البابِ، فإذا جارتُها جالسةٌ معها، وتسألُها: (كيفَ زوجُك معك؟)...

---

(١) القصد أن يكون الصدق مثلًا أن الزوجة غير جميلة، والكذب أن يقول لها: إنه يراها جميلة، ويكون صادقًا، فهو يراها كذلك، فبات الكذب صِدقًا، وعلى النقيض يكون الصدق أن الزوجة جميلة، ولكن زوجها لا يراها كذلك، ويقول لها أنها جميلة كذبًا، فبات الصدق كذبًا، وفي الحالين تفرح الزوجة وترضى عن زوجها، وتنتهي كثير من المشكلات.

(٢) «موطأ مالك»، بَاب مَا جَاءَ فِي الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ.

نزلَ زوجُك ليكلمَ صديقَه في أمرٍ ما، فوقفا أسفلَ شرفةِ المنزلِ. فخرجتِ للشرفةِ لحاجةٍ، وإذا بكِ تسمعينَ صديقَ زوجكِ يسألهُ: (كيفَ ترى زوجتك؟)...

ماذا نحبُّ أنْ نسمع؟ لماذا لا نفكرُ في نظرةِ الآخرِ عنا؟ ما رأيهم بنا؟ هل نحنُ سببُ سعادةٍ أم شقاءٍ لهم؟ لماذا لا نجعلُ الآخرَ يتحدثُ عنا بالخيرِ دونَ أدنى تردُّدٍ؟ لماذا نحبّ أن نسمعَ الجميلَ دونَ أنْ نفعله؟ ولماذا نتناسى أنَّ شريكَ الحياةِ يُعامَلُ بطريقةٍ مختلفةٍ عمّا نعاملُ بها الآخرين؟ تُرى لو فرقتنا الحياةُ لظروفٍ أو لموتٍ أو لأيّ سببٍ، فما هي تلكَ الذكرياتُ التي ستبقى حيةً في ضميرِ الآخرِ عنا؟ هل سيقالُ على قبورنا: (رحمةُ اللهِ على صاحبِ القبرِ)، أو يقالُ: (أراحَ واستراحَ)؟

قيلَ لامرأةٍ: (كيفَ زوجُك؟) قالتْ: (إذا دخلَ فَهِدَ، وإذا خرجَ أَسِدَ).

وقيل للأخرى فقالتْ: (حَمَلُ ظعينةٍ، وليثُ عرينة)[1].

وقيل للأخرى فقالتْ: (هو سَكوتٌ خارجًا، ضحوكٌ والجًا)[2].

وسُئِل رجلٌ عن امرأتِه فقال: (أفنانُ أثْلة، وجنيُ نَحلة، ومسُّ رمْلة[3]، ورُطبُ نخلة، وكأني قادمٌ كل ساعةٍ من غيبة)... وسُئِلتْ هي عنهُ، فقالتْ: (أفنانُ الجنةِ، وحسنُ الروضةِ، وطيبُ الحياةِ في نعمةٍ مقيمةٍ).

وطلَّقَ رجلٌ امرأةً، فلما أرادتِ الارتحالَ قالَ لها: (اسمعي وليسمع مَن حضر أنِّي: واللهِ اعتمدتُكِ رغبةً، وعاشرتكِ محبةً، ولَمْ يُوجَدْ مكاني منكِ زلّة، ولَمْ يدخلني منكِ مَلّة، ولكنَّ القضاءَ كانَ غالبًا). فقالتِ المرأةُ: (جُزِيتَ من صحوبٍ خيرًا، فما استربتُ خَبَرَك، ولا شكوتُ خيركَ، ولا تمنيتُ غيرك، وليس لقضاء الله مَدفَع، ولا من حكمه ممنع). ثم

---

(١) الظعينة: الزوجة، ومعنى جواب الأولى والثانية: أنه لطيف كالحَمَل مُسالِم كالفهد معي، وفي الخارج أسد قوي.

(٢) أي: يسكت وهو في الخارج، ويمازح ويضحك إذا دخل بيته.

(٣) الأثلة: شجر من أعظم وأكرم وأجود العُود، وخشبه جيد، وليس له شوك، ومنه اتُّخِذَ منبر رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. والأفنان: الأغصان. وجني النحل أي: طيبه كالعسل. ومس رملة أي: سَهْلة مِطْوَاعة ليِّنة.

تفرقا[1].

افعلا ما تحبانِ أنْ يقالَ عنكُما... واصنعا ما ترغبانِ في أنْ يبقى خلفكما... ولا تكونا ممن قال الله عنهم: ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ٨٨]. وإنْ لم تهتمَّا بما يقوله الآخر... فاهتما بما سيقوله الله لكما.

الخيل من الخيال: مسؤولية مشتركة في العلاقة الزوجية...

في حادثةِ تحطُّمٍ ما، وُجِدَ أنَّ العطلَ كانَ ناتجًا عنْ عدمِ قدرةِ المحركِ على العودةِ لمكانه بسببِ خللٍ في المساحةِ المخصَّصةِ لرجوعِه. وكانَ المحرِّكُ قد صنعته شركةً ما، وكانتْ الغرفةُ التي يعودُ إليها المحركُ مصنوعةً في شركةٍ أخرى. ولمّا أرادتِ المحكمةُ أنْ تحكمَ بدفعِ التعويضاتِ على المتسببِ بالحادثةِ، اختلفتِ الشركتان؛ قالتِ الأولى: الخللُ من مصمِّمِ غرفةِ المحركِ، لأن المحركَ مساحتُه معينةٌ وقياساتُه ثابتةٌ، والخللُ في غرفتِه التي لَمْ تتسع لدخولِه. وقالتْ الشركةُ الأخرى: الخطأُ في المحركِ الذي لَمْ يتناسبْ مع القياساتِ التي أرسلناها لكمْ عندَ طلبِ التصميم.

في الحقيقة، الخللُ في مصمم المحركِ والغرفةِ معًا. كانَ يجبُ على مصممِ المحركِ أنْ يحسبَ قياساتِ غرفته بدقة، وكان يجب لمصمم الغرفة أن يوسع الغرفة لتتناسب مع المحرك.

وهكذا كل المشاكلِ التي تقعُ بين الزوجينِ، بين الجسدِ والضِّلَعِ. فعلى الرجلِ أنْ يضعَ الضلعَ حولَ قلبِه، وعلى الضلعِ أنْ يحميَ القلبَ منَ الأضرارِ جيدًا. وكلُّ خللٍ في الموقعِ أوْ في الحمايةِ قدَ يعني وصولَ طعنةٍ قاتلةٍ للقلب.

هل تساءلتَ مرةً لماذا يتزوجُ أبو لهبٍ بأمِّ جميلٍ؟ ولماذا تتزوجُ خديجةُ بالرسولِ؟ لماذا؟ إننا سببٌ في الكيفيةِ التي يكونُ عليها شريكُ الحياةِ. إنَّ خيرَكَ أثمرَ الخيرَ منهُ، وخيرُه كانَ داعيًا للخيرِ منكَ. ليسَ الأمرُ ألفاظًا وحكاياتٍ، وقصصًا وروايات، إنما هو قولُ الله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ

---

(١) كل ما سبق ورد في «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني، (باب شكر أحد الزوجين الآخر). وإنْ أحببتَ فانظر ما بعده من الكتاب عن ذمِّ أحد الزوجين للآخر.

﴿لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور: ٢٦].

سوء الخُلُق يجرُّ إلى سوء الخُلُق...

قال شعيبُ بن حربٍ: (خطبتُ امرأةً، فقلتُ: إني سيئُ الخُلُقِ. فقالتْ: أسوأُ خُلُقًا منكَ مَن يلجئكَ إلى سُوءِ الخُلُقِ!)[1] ... فسوءُ الخُلُقِ يجرُّ إلى سوءِ الخُلُقِ.

ومرَّ عمر بن عبد العزيز برجلٍ في يده حصى يلعبُ به، وهو يقولُ: اللَّهُمَّ زوِّجني من الحورِ العين. فقامَ عليهِ عمرُ فقال: (بئسَ الخاطبُ أنتَ! أَلَا ألقيتَ الحصى، وأخلصتَ للهِ الدعاءَ؟)[2] ... فشرفُ المطلوبِ يستلزمُ رفعةَ الطالبِ، فمَنْ أرادَ الحوراءَ عليهِ أنْ يكونَ منْ أهلِ الجنةِ، ومَنْ أرادتِ الصالحَ فلتُصْلِحْ ما بينَها وبينَ ذي المنَّة.

لا تلوما - كلٌّ منكما - الطرفَ الآخرَ على ما أنتما من أسبابه، ولومَا نفسيكُما. نقِّبا فيها وتساءلا: (لماذا ابتليتُ؟ بأي ذنبٍ جُوزيتُ؟)... رحمَ اللهُ القائلَ: (إني لأعلمُ ذنبي بخُلُقِ دابتي وزوجتي)... ورحمَ اللهُ القائلةَ: (إني أخافُ إذا رأيتُ بغضًا من زوجي من منادي الله في الخلقِ: إنَّ اللهَ أبغضَ فلانًا فأبغضوه. فأسارعُ للاستغفارِ هاتفةً: يا سُؤلي، إنْ كانَ هذا بذنبٍ مني فاغفرْ لي).

نصيحة في التعامل مع الخلافات الزوجية...

وانظر إلى كلام ابن الجوزي الراقي في هذا المعنى قال:

شكا لي رجل من بغضه لزوجته ثم قال: ما أقدر على فراقها لأمور، منها: كثرة دينها عليَّ، وصبري قليل، ولا أكاد أسلم من فلتات لساني في الشكوى، وفي كلمات تعلم بغضي لها. فقلت له: هذا لا ينفع.. وإنما تؤتى البيوت من أبوابها، فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سُلِّطت عليك بذنوبك، فتبالغ في الاعتذار والتوبة. أما الضجر والأذى لها فما ينفع، كما قال الحسن ابن الحجاج: (عقوبة من الله لكم، فلا تقابلوا عقوبته بالسيف، وقابلوها بالاستغفار).

---

(١) «محاضرات الأدباء»، (باب المتمدح بمصابرة سيئ الخلق).

(٢) «الإخلاص والنية» لابن أبي الدنيا.

واعلم أنكَ في مقام مبتلى، ولك أجرٌ بالصبر، وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم. فعامل الله سبحانه بالصبر على ما قضى، واسأله الفرج. فإذا جمعتَ بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب، والصبر على القضاء، وسؤال الفرج، حصَّلت ثلاثة فنون من العبادة تُثاب على كلٍّ منها. ولا تضيع الزمان بشيء لا ينفع، ولا تَحْتَل ظانًّا منك أنك تدفع ما قُدِّر، وإنْ يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو. وقد روينا أن جنديًّا نزل يومًا في دار أبي يزيد، فجاء أبو يزيد فرآه، فوقف وقال لبعض أصحابه: (ادخل إلى المكان الفلاني، فاقلع الطين الطري، فإنه من وجهٍ فيه شُبْهة)، فقلعه، فخرج الجندي.

وأما أذاك للمرأة فلا وجهَ له؛ لأنها مُسلَّطة فليكن شغلك بغير هذا. وقد رُوِي عن بعض السلف: أن رجلًا شتمه فوضع خده على الأرض، وقال: (اللَّهُمَّ اغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي)... إلى آخر نصيحته وحديثه للرجل[1].

فبادرا للتوبةِ عند كلِّ خلافٍ، وافزعا للاستغفارِ عندَ كلِّ مشاحنةٍ. وقلْ: (لو طِبتُ لطابتْ)... فالطيباتُ للطيبينَ. وقولي: (لو طِبْتُ لطابَ)... فالطيبونَ للطيبات.

بيت بيوت: الزواج مسؤولية...

كَمْ لعِبنا في الصغرِ هذه اللعبة، ذكرياتٌ ممتعةٌ لا تُنسَى، حينَ كنّا نلعبُ مع بنات وأولادِ الحيّ[2] في الروضةِ، فيختارُ كلّ ولدٍ فتاةً تكونُ في اللعبةِ زوجتَه، ويذهبونَ للعملِ ونمثلُ أننا نصنعُ الطعامَ وندعو الجاراتِ للقهوةِ ونصرفُهنّ حينَ يعودُ الأزواجُ. وكمْ مرةً تشاجرتِ الفتاةُ مع الطفلِ - زوجِها في اللعبة - فيقولُ لها: (أنتِ طالقٌ، أنا لا أحبكِ، أنتِ شريرةٌ!) ... ثم يختارُ زوجةً غيرَها ليُكملَ اللعبة.

يؤسفني أنْ أقولَ: إنَّ كثيرًا من بيوتِنا صارَ فيها الزواجُ كلعبةٍ (بيت بيوت)، ليسَ فيهما من يأخذُ الأمرَ على محملِ الجدِّ، مُقدِّرًا مسؤولياتِ الزواجِ والأماناتِ التي تترتِبُ عليهِ،

---

(١) «صيد الخاطر»، (فصل: التصبر أرجى العبادات) في طبعة دار العلم ومكتبة ابن تيمية، و(باب وادخلوا البيوت من أبوابها) في طبعات أخرى للكتاب.

(٢) كان عمري إذ ذاك أقل من خمس سنوات، وبعضهم بسني أو أصغر قليلًا، ولو كان السن أكبر لكان خطر.

والأحكامَ التي تلحقُه، والتبعاتِ التي تتبعُه. كم أسمعُ تلكَ الكلمةَ من النساءِ، أقولُ لها: (لا تفعلي هذا من وراءِ زوجِكِ، ماذا لو عرفَ؟)... فتقولُ لي: (عاديّ، سوفَ يُطلِّقني! ليستْ مشكلة). أو تسمعُ من الحماةِ إنْ عرفتْ بالمشكلةِ: (طلِّقها يا ولدي... أُزوِّجُك سيدةَ العصرِ وملكةَ الزمانِ... وارمي الأولاد لها). وتقول الأمُّ لابنتِها: (اطلبي الطلاقَ... لا عاشَ مَن آذاكِ أوْ أهانكِ... وارمي الأولادَ له). ويقول الزوجُ: (الآن أُطلِّقكِ... وأحضرُ فتاةً من بلدِ... بمائتي دينارٍ... وأرميكِ كالقمامةِ). طبعًا هذا مع تحسينِ الألفاظِ إلى أقصى الحدودِ، وحذفِ ما أُنزِهُ آذانكمْ عن سماعِه... وأفواهَكم عنِ النطقِ به، لكنّهُ الواقعُ...

الزواج: ميثاق غليظ لا يُنقَض قبل الطلاق...

اللهُ أكبرُ، صدقَ رسولُ الله: «اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ»[1]. أينَ الدينُ؟ أينَ المروءةُ؟ أينَ الذممُ؟ أما سمعوا قولَ اللهِ: ﴿**وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا**﴾ [النساء: ٢١]!! فكيفَ نرمي الميثاقَ الغليظَ ونمزقُ العهدَ الشديدَ؟ ألم نَسمَعْ قولَ الله: ﴿**ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧]؟ لقد اجتمعتِ الأمورُ الثلاثةُ في عقدِ الزواجِ، فهوَ عهدٌ مع اللهِ نقضناه، وهو ما أمرنا الله بوصلِه فقطعناه، وهو صلاحٌ للأرضِ فأفسدناه، أولئكَ هم الخاسرون.

إنَّ الزواجَ ليسَ لعبةَ X/O؛ بمعنى (ليس أحبكِ أتزوجكِ)/ (أكرهكَ أطلقكَ)، هو عهدٌ وميثاقٌ بالإكراه أو الاتفاق في السلم والحربِ، في الخير والشر وفي كل حال.

الزواج عند السابقين: رعاية وذمم لا مجرد حب...

قال عمرُ لرجلٍ طلّقَ امرأته: لمَ طلقتها؟ قال: لا أحبُها. فقال: أكلُّ البيوتِ بُنِيتْ على الحبِّ؟ أينَ الرعايةُ والذمم؟[2].

كانتِ امرأةٌ عند الحسنِ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ، فضجِرَتْ عليهِ يومًا فقال: أمرِكِ في

---

(١) رواه البخاري (٦٦٥٧).

(٢) «محاضرات الأدباء»، (باب ذم التطليق وشدته).

يدكِ. فقالتْ: أما واللهِ لَقَدْ كانَ في يدكَ عشرينَ سنةً، فحفظتَه وما ضيَّعتَه، أفأُضيِّعُه في ساعةٍ واحدةٍ صارَ في يدي؟ قد رددتُ عليكَ حقَّكَ. فأعجبَه قولها[1].

وهناك حديث ضعيف يقول: «لا تطلقوا النساء إلا من ريبةٍ؛ فإن الله لا يحب الذواقين ولا الذواقات»[2]. وفي رواية أخرى قال: «إنَّ الله لا يحب كل ذوَّاقٍ من الرجال، ولا كل ذوَّاقةٍ من النساء»[3]. وهو صحيح المعنى؛ فقد مَدَح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسَه بأنه لا يُطلِّق، كما في حديث أبي زرع.

ليتنا نحفظ كما حفظوا... ونرعى كما رعوا.

ولكننا ضيَّعنا ولم يضيعوا... ولعبنا في الجدّ وما لعبوا.

بين السكن والمأوى: الزواج سكينة واستقرار...

في المنطقةِ التي أعيشُ بها هناكَ رجلٌ منذُ كنتُ صغيرةً يفترشُ الشارعَ ويعيشُ فيه. لا أحدَ يعلمُ عنه أيّ معلومةٍ: مَنْ هو؟ ما اسمه؟ مِن أين جاء؟ أين أهله ومسكنه؟ لو رأيتَه وهو يضعُ حذاءَه تحتَ رأسِهِ ويتمددُ على الأرضِ في الحرِّ أو المطرِ بلا وقاءٍ ولا حمايةٍ، ثمَّ لو نظرتَ في وجههِ لترى ذلكَ الشعرَ الطويلَ الأشعثَ وذلكَ الرداءَ المرقعَ الذي يلبسُه والحذاءَ المثقوبَ من جانبٍ والمرقوعَ من جانبٍ آخرَ مع تلكَ الملامحِ الكئيبةِ، لأشفقتَ عليهِ وحزنتَ، بل ربما بكيتَ وحمدتَ اللهَ على نعمةِ السكنِ الذي نأوي إليهِ في حرِّ الشمس وبردِ الشتاءِ. بَلْ لو كانتِ الفصولُ كلّها ربيعًا يكفي أن تملك وسادةً تسندُ لها رأسكَ وفراشًا تريحُ عليهِ جسمكَ وغرفةً تُصلحُ بها لباسكَ وشكلكَ.

أتَعلَمون، إنَّ نفوسنا قبل الزواج هي كهذا الرجلِ الأشعثِ البالي الكئيبِ. ولو تَزيّنتْ منا الأجسامُ وفاحتْ منا العطورُ وغَلا سعرُ ما نلبسُه، لكنّ النفسَ تبقى شعثاءَ بلا قرارٍ،

---

(١) «محاضرات الأدباء»، (باب تفويض الطلاق إليها).

(٢) خرَّجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٣٣٥٤)، وأخرجه أيضًا البزار (٧٠٨، رقم ٣٠٦٤)، وأورده الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٢٤٤).

(٣) ابن أبي شيبة (١٧٢٤).

كئيبةً بلا استقرارٍ، ممزقةً ولو حاولنا ترقيعَها.

سَلْ أعزبَ، قل له: كيفَ تشعرُ؟ سيقول لك: أشعرُ بنقصٍ لا أعرفُ سببه، وبفوضى لا أعرفُ مصدَرها... وسل عزباءَ ستجيبكَ بنفسِ الجوابِ. لكنني أقولُ لهما: إنَّ السببَ هو النفوسُ التي لا زالتْ تسكنُ في العراءِ ولَمْ تَجِدْ المأوى.

الزواج: آية إلهية للسكينة..

قد يقولُ قائلٌ: هذه مبالغة ممقوتةً، وتَعَدٍ واضحٌ، وزيادةٌ لا حقيقةَ لها. فلا تزيدي الوضعَ عن حدِّه وتصنعي من الرمالِ سلاسلَ الجبالِ ومنَ الهرّة نمِرة... إنْ كانَ هذا ما مرّ بهِ شخصُك فلا تسقطيهِ على الجميعِ، وإنْ كانَ هذا شعورُ نفسكِ فلا تُعمّميه على الجموع.. وما أدراكِ أن غير المتزوج قد يستقر بالإيمان... فلا يشعر بأنه في العراء؟!

أقولُ: لو كانَ هذا بدعةً جِئتُ بها مِن عقلي، أوْ رأيًا حصلَ من إعمالِ فكري، أو نظريةً أفسرُ بها ما أُشكِل عليَّ، لكانَ لك الحقُّ بأن تتهمني بالمجاوزة وترميني بالمبالغة، أو تتهمَ عقلي وتحتقرَ فكري وتُضعِف نظريتي. ولكنّه شيءٌ أخذتُه من كتابِ اللهِ وفهمتُه مِنْ نظري في كلامِه -جلَّ في علاه-.

وإليكِ بيان أدلتي حتى تصلي إلى ما وصلتُ إليه:

كلنا قرأ سورة يوسف وقصته، وبعد مرور تلك الأيام العصيبة والسنوات القاسية، يأتي ذلك اليوم الذي وصفه الله فقال: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَٔيِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]. تأملتُ مرارًا لفظة (آوَى) واختيارَها، مع أنَّ سيدنا يوسف -عليه السلام- لم يَزِدْ على أن ضمَّ أخاهُ إليهِ. ولكنّها النفسُ التي لا تسكُنُ إلا بلُقْيَا مَن تحبُّ، ولا تأمنُ إلا حتى تجدَ صدرًا حنونًا تأوي إليهِ. وهو معنى قوله: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ [الروم: ٢١]، و﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ [الأعراف: ٨٩].

لقد جعلَنَا اللهُ مَسْكنًا وسَكَنًا للرجال، و﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فهُمْ

سَكَنٌ وزيادةٌ؛ لأنّ اللهَ سَمّى الرجلَ مأوى لا سكنًا. قالَ اللهُ مخاطبًا نبيَّه في أمرِ نسائه: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١]. ولَمْ يقل: وتأوي إلى من تشاءُ، بل جعله مأوى لهنَّ كلهنَّ -صلواتُ ربي وسلامُه عليه-.

الفرق بين السكن والمأوى...

على هذا، فالمرأةُ للرجلِ سَكَنٌ، والرجلُ للمرأةِ مأوى. فما الفرقُ بينهما؟

السكنُ: عشٌّ يعودُ إليه المغتربُ مستأنسًا، والمتعبُ ملتمسًا الراحةَ، والظامئُ لريِّ عطشِه، والمتألمُ ليبثَّ همَّه، والمهمومُ ليلمَّ شتاتَ نفسِه. السكنُ يُلجأُ إليهِ في الأمنِ والخوفِ، في السعادةِ والشقاءِ، في السراءِ والضراءِ. وكلما اتسعَ السكنُ انشرحتِ النفسُ. وإذا كانَ مُطلًّا على الشمسِ مشرقًا وتخلَّلتهُ نسائمُ حنونةٌ عطرة؛ زادتِ الرغبةُ في البقاءِ فيه. وإذا احتوى مع ذلكَ ذكرياتٍ رائعةً ولحظاتٍ ممتعةً، كان المرءُ متمسكًا به غيرَ مستغنٍ عنهُ.

فيا سكنَ الرجلِ، هل أنتِ كذلكَ؟ أم أنكِ منزلٌ متهاوٍ متهدمٌ، إذا قصده المرءُ للراحةِ تهاوتِ الصخورُ على رأسِه والرمالُ في عينيهِ، وأزعجَ الأذنَ صوتُ الأطيطِ والطرقِ؟ أم أنكِ منزلٌ مهجورٌ رطبٌ، انتشرتْ فيه بيوتُ العنكبوتِ وأنفاقُ الجرذانِ وثقوبُ السقفِ التي ترشحُ الماءَ، فلا انشراحٌ ولا راحةٌ؟

يا سكنَ الرجلِ، أشرقي وافتحي نوافذكِ، ورمِّمي جدرانكِ، وأصلحي السقفَ، واحتضني الساكنين. فالله خلقك سكنًا لا كهفًا ولا مغارةً ولا قصرَ أشباحٍ.

حانَ دورك أيها الرجلُ، المأوى. في كتابِ «لسانِ العرب»: أَوَيْتُ إليهِ أيْ: عُدْتُ إليه... وفي حديثِ البيعةِ أنه قال للأنصارِ: «أبايعكمْ على أنْ تؤووني وتنصروني»[1]، أي: تضموني إليكم وتحوطوني بينكم... وفي حديثٍ آخر: «كان يصلي حتى كنت آوي له»[2]، أي: أَرِقّ له. فالمأوى ملجأ وضمةٌ ورحمةٌ ورقةٌ. والمأوى يُطلَبُ عند الفزعِ والشدائدِ، وهو لا يكون

---

(١) ليس الحديث هكذا، بل قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للنقباء من الأنصار: «تؤووني وتمنعوني؟» قالوا: نعم، فما لنا؟ قال: «الجنة». رواه الحاكم وأبو يعلى، وسكت عنه الذهبي.

(٢) لم أجد الحديث هكذا، بل فيه: «دل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى الشعب فبال، حتى أنِّي آوى له من وركيه حين بال». قال الشيخ الألباني: ضعيف. ومعناها كما ذُكِرَ: أَرِقُّ لحاله.

إلا قويًّا منيعًا آمنًا حصينًا. المأوى ضمة تُؤمِنُ من الفَزع، وشفقة عند الوجع، ونصرةٌ عند الهلع.

هل أنتَ مأوى لزوجتكَ؟

هل أنتَ أيها الرجلُ مأوى لزوجتكَ؟ أم أنَّ زوجتكَ تحتاجُ لمأوى يحميها منكَ ومن بطشكَ وتسلُّطكَ؟ هل أنتَ تلكَ الضمةُ الحانيةُ الرقيقةُ أم أنكَ ضمةُ القبر التي تختلفُ منها عظامُ الصدر؟ إنّ أشدّ حاجاتِ المرأة إلحاحًا هي أن تشعرَ قربك بالأمانِ، وتُحس جانبكَ بالاطمئنان، وتجدك متى أجهدتها أزماتُ الزمان.

هذا الجانبُ لم يغفل عنهُ سيدُ الخلقِ نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فقد صحّ أنّه قال لأمي عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: «أما ترضينَ أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرةِ؟» قالتْ: بلى. قال: «فأنتِ زوجتي في الدُّنيا والآخرةِ»[1].

ورُوِي أنه قال لها: «إنه ليُهوِّن عليَّ الموت أني أُرِيتك زوجتي في الجنة»[2].

بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ الله! أينَ هذا من رجالٍ لا يصبحونَ ولا يمسونَ إلا على الشتم والتهديدِ بالطلاقِ، فلا تدري الزوجةُ إنْ أصبحتْ هل ستُمسي على ذمتِهِ، وإنْ أمستْ هل ستصبحُ وهي لا زالتْ زوجتَه، فلا أمانَ ولا اطمئنانَ.

المعاشرة بالمعروف...

أيها المأوى، حينَ تريدُ الطلاقَ أو الزواجَ فافعله؛ فقد أحله الله لك. ولكنه لَمْ يحلّ لكَ أنْ تؤذيَ مشاعرَ زوجتكَ وترهبَها وتبقيَها في القلقِ، فليسَ هذا من المعاشرةِ بالمعروفِ في شيءٍ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك»، وقال الذهبي في «التلخيص»: صحيح. كما رواه ابن حبان في «صحيحه»، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح. وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٥٥).

(٢) رُوِي في «الكبير» للطبراني، و«المصنف» لابن أبي شيبة، وفي «الطبقات الكبرى» لابن سعد، وفي «مسند أبي حنيفة». وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة»، وقال: أرى أن الحديث حسن.

إن لم تستجب لكلامي فعلى الأقلّ اقتدِ بنبيكَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الذي أجابَ أمّي عائشةَ بعدَ أنْ أخبرتهُ بحديثِ أبي زرع فقالَ لها: «كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع»[1]. وفي بعض روايات الحديث أنه قال: «غيرَ أنّه طلّقَ، وأني لا أطلقك»[2]. وزاد النسائي في رواية له والطبراني قالت عائشة: «بأبي وأمّي؛ لأنتَ خيرٌ من أبي زرعٍ لأم زرع».

حقًّا هو خيرٌ من ألفٍ كأبي زرع حين يطمئنُ زوجتهُ ويُقرّ عينها ويُسكنَ نفسَها. صدقَ الله: ﴿وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ [الأحزاب: ٥١]. لقد كان لهنَّ نعم المأوى، فكُنْ كذلكَ أيّها الرجلُ.

وأختِم لكَ سلسلةَ المواعظِ بهذا الحديثِ؛ حيث وردَ أنّ صفية كانتْ مع رسولِ الله في سفرٍ، وكانَ ذلك يومُها، فأبطأتْ في المسيرِ، فاستقبلَها رسولُ الله وهي تبكي، وتقول: «حملتني على بعيرٍ بطيء». فجعلَ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يمسحُ بيديه عينيها ويُسكتها[3].

كن المأوى الآمن...

أيّها الرجلُ، كنِ المأوى الآمن والملاذَ الحصين. اسمع مشكلاتِ زوجتكَ ولا تكنْ أنتَ مشكلَتَها. امسحْ دمعَ عينيها... ولا تتسبب في جريانه. وتذكَّرْ أنكَ لستَ مدينةَ أشباحٍ أو فيلمَ رعبٍ أو مُصارعًا محترفًا؛ بل أنتَ سيدُ المنزلِ الموثوقُ به والمستَشارُ الآمنُ المسموعُ أمرُه. وتذكَّر أنكَ متى أحوجْت المرأةَ للفرارِ منكِ والاحتماءِ منْ شركَ فقد ضيَّعتها.

إن الكريمـــة ربمـــا أزرى بهـــا ... ســـب يـــدوم وعائـــل لا يـــرحم
وكـذاك حوضـك إن أضـعت فإنـه ... يوطـــأ ويشـــرب مـــاؤه ويهـــدم

قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «استوصوا بالنساء خيرًا... فإنهنَّ عندكم عوان، ليس تملكون منهنَّ شيئًا غير ذلك... إلا أَنْ يأتينَ بفاحشةٍ مبينة. فإن فعلنَ فاهجروهنَّ في

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/١٧٣، رقم ٢٧٠).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩١٦٢).

المضاجع، واضربوهنَّ ضربًا غير مُبرِّحٍ. فإنْ أطعنكم فلا تبغوا عليهنَّ سبيلًا»[1].

أسكنَ اللهُ فؤادكُما وجمعَ قلبيكُما وأرضى كلًّا منكُما بشريكِه. إلهي يا مَن لا ربَّ يشابهُه ولا إلٰه يشاركُه، آمنَّا بكَ وبكلامكَ ولم نرك، وصدَّقنا نبيكَ ولم نلقه، واشتاقتْ أنفسُنا إليكَ مولانا فاجعلْ خيرَ أيامِنا يومَ لُقْيَاكَ. فكَمْ من ظالمٍ في ذلك اليوم تقصِمُه بجلالكَ، وكم جبارٍ تخيفُه بزبانيتكَ وأغلالكَ، وكَمْ مِنْ عاصٍ تعذبُه بنارك، وكَمْ مِنْ منافقٍ تفضحُه باطِّلاعكْ، وكَمْ منْ عملٍ عظيمٍ تجعلُه هباءً منثورًا باقتدارك. عفوكُ يا رب عفوك.

يـا ربُّ يـا معبـودُ طالـت غـربتي ... ودَجَـتْ لحالـكِ مـا بهـا أيـامي
وتطاولـتْ تـترى الخطـوبُ وأطبقـتْ ... ويكـادُ يفلـتُ مـن يـديّ زمـامي
فَـارْحَمْ إلهـي ذلّ مـن ربيـته ... وأحْتـاجَ عفـوكَ عائـذًا متحـامي[2]

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩١٢٤).

(٢) البيت الأخير للكاتبة.

ميناء الود: رسائل قصيرة للزوجين

قبل الختام، قيل: الكلام الكثير يُنسِي بعضه بعضًا، وللناس أذواق في كل أمرٍ. فمن متمتع بالقصة، وغيره لا يرتاح إلا للنثر، وعاشق للخواطر ومتذوق للشعر. ولكي أجمع ذلك كله للقارئ فينتقي من كتابي ما أراد، كتبت هذا الباب. وبه رسائل قصيرة ترسو بها سفن العواطف الصادقة والمشاعر الدافئة في ميناء الود. أجمع فيها للزوجة والزوج ما يجب أن يكونا عليه بعبارات مختصرة كي يسهل تذكرها، وبمنظر جميل كي يسهل إهداؤها. ثم ألحقت رسائلي للأزواج برسالة للعالم نظمتها شعرًا. فخذ ما شئتَ ودع ما شئتَ، ولكن كن كما يشاء الله لا كما رغبت.

رسالة إلى زوجتي...

زوجتي الغالية... يا سكن نفسي أحبك
زوجتي، إن الجميلات في الدنيا كثيرات
والحسنات يملأن الطرقات، لكن
الجمال الذي لا أستطيع مقاومته
والحسن الذي أعجز أمامه هو جميل صنيعكِ وحسن أخلاقكِ
حين أسيء إليكِ... عندها أصغر وتعظمين
وأحمد الله أنكِ كنتِ زوجتي.. أدامك الله لي.
وجمعني بكِ في جنة الرضوان.

فإذا رأيت كريمة مِعطَاءة ... في الطهر تمشي ... تلك حقًا زوجتي.

زوجي الغالي... يا مأوى روحي، أحبك.

زوجي، إحسانك الدائم لي...

وتفضلك غير المنقطع عني... وعفوك عن زلاتي...

يجعلني أرى فيك كل معاني الرجولة شاخصةً...

حتى أظن أن لم يبقَ في الأرض غيرُك رجال...

أحمد الله أنك زوجي... أبقاك اللهُ لي...

وجمعني بك في دارٍ نعيمها لا ينفد...

زوجي جواد عادل سمح كريم... جميل الصيت... فاغبطوني.

بيتنا...

بيت أسس على التقوى

زوجي، لا أريد أن أعيش معك مليون عام

زوجتي، لا أريد أن أحيا قربك مليار عام

بل نريد أن نحيا معًا... نمضي معًا... نفنى معًا...

نجري معًا نحو الجنان... حبنا ثابت، وحب غيرنا يتقلب...

مودتنا باقية، ومودة غيرنا تذهب... بيتنا عامر، وبيوت غيرنا تخرب

زواجنا أبدي[1]، وزواج غيرنا بالموت يُسلَب

هذا لأن حياتنا ومماتنا وفعالنا لله...

ليس لغيره في القلب مَطْلَب.

(١) ثبت أن المرأة لآخر أزواجها، فمَن ماتت أو مات زوجها ولم تتزوج عليه، وكانت مسلمة، وكذلك هو؛ فسيكون هذا الزوج هو زوجها في الدنيا والآخرة، والآخرة لا نهاية لها؛ فهو زواج أبديٌّ بإذن الله.

قصيدة: امضِ قبلي

حتى متى تحيا البيوتُ كآبة؟ ... واللوم شربي والصراخ طعامي
انظر قليلًا للبيوت بكوننا ... لترى حروبًا أعجزت أفهامي
الأم أمّت حزب عاند وارتقي ... فالقول لا والزوج للإعدام
والزوج نادى: زوجتي فلتعلمي ... إن القوامة ضربة بحسام
وتنافسا لينال كلٌّ منهما ... عرشَ التنعمِ سلطةَ الحكام
والطفل في نار العقوق مكبل ... وضحية للعنف والإجرام
أنّت عوالمنا الصغيرة واشتكت ... والحل كل الحل في الإسلام
سأحدث الزوجين أني نصفهم ... وأناصح الاثنين بالأحكام
والله ربي والذي برأ السما ... لا لست أحنث واشهدوا إقسامي
لا ليس يرضي ربنا أن تخلعوا ... آي التراحم بيننا في عام[1]
أن تنقضوا ميثاق عهد تقطعوا ... وصل الوداد بجملة الأوهام
يا زوجتي إن الخشونة طابعي ... كالصخر إني فانحتي أحلامي
من غير عنف بل كسيل ناعم ... صقل الصخور برقة وسلام
إن الصخور إذا أدمت طرقها ... فشرارها هو حارق الآكام[2]
يا زوجتي بين القساة مشاغلي ... في الأرض سعيي صنعتي إبرامي
فلعلني أنسى لشغلي دائمًا ... إنسان نفسي بسمتي وغرامي
فلترحمي ولتَرفقي ولتُرجعي ... بشريتي بعطور زهر الشام
إن الوحوش ترق عند تلطف ... ترويضها سهل مع الإنعام[3]

---

(١) القصد أن الله جعل التراحم آية دائمة، فكيف نجعلها شهرًا أو عامًا، ونعيش باقي العمر بلا مودة ولا رحمة.

(٢) في «العين»: الأكمة تل من قفٍّ، من حجر واحدٍ، أي: أنه صخرة كبيرة واحدة بارزة، باتت تلًّا.

(٣) حُكِي أن امرأة كانت تعيش في خلاف تام مع زوجها، فذهبت ذات يوم إلى صديقةٍ لها، وشرحت لها حالها مع زوجها عندئذٍ نصحتها الصديقة أن تذهب إلى حكيمٍ، لعله يستطيع أن يبعد عن بيتها =

كم ذئب قوم بات كلبًا خادمًا ... ونسور عز أصبحت كحمام
يا زوجتي إن التجارب حدثت ... إن كنتِ أنثى تملكين زمامي
زوجي العزيز سمعت قولك إنني ... سأعيش حبك ديدني وهيامي
لكنني ولقد نصحتَ فإنني ... بالمثل رَدِّي فاسمعن إعلامي
رقّاك ربي فوق قدري خطوة ... فسبقت فضلًا كنت أنت إمامي
يا نصف ديني فالمكرَمُ محسنٌ ... ويقيل عثرة غيره ولمامي
وإذا سمت نفس الكريم ترفعت ... فعن الصغائر دائمًا متعامي
يا سابقي في الخير قال نبينا ... إني عوان قد ضمنتَ سهامي
فالرفق دومًا بالأسير مقدم ... لضعيف حيلته أمام الرامي
زوجي المكرم أنت حصني مأمني ... ضعفي بأمنك قوة لدوامي
جهلي بعلمك والفؤاد بعقلك ... نصف بنصف فيك كان تمامي
فإذا قبلت إساءتي وتعوجي ... بتعوُّجٍ فمتى يكون قوامي
أمسك يدي ولْتَمض قبلي قائلًا ... يا سعد أقبل يا كآبة نامي
يا رب واغفر ذنبَ عبدٍ تائبٍ ... ندمًا إلهي دمع عيني هامي

وصايا قبل النهاية...

١- الرجل يحتاج أنثى... فإن كنتِ رجلًا أو بعض الرجل؛ فلا توافقي على الزواج. أو قرِّري أنْ تتحوَّلي لأنثى.

٢- الأنثى إذا فرحت ثرثرت، وإذا غضبت بكت... أما الرجل إذا فرح سكت متأملًا، وإذا

= تلك الخلافات، فذهبت المرأة إلى الحكيم، وعرضت عليه مشكلتها، ووعدها الرجل أن يساعدها على شرط أنْ تُحضِر له ثلاث شعرات من جسم أسدٍ، وخرجت المرأة من عنده وهي تفكر في وسيلةٍ تُحضِر بها ثلاث شعرات من جسم الأسد، فأخذت حَمَلًا، وراحت إلى الغابة، وعندما هجم عليها الأسد رمت بالحَمَل فأخذ يلتهمه، وانصرف عنها، وأخذت المرأة تفعل هذا الفِعْل كل يومٍ، حتى أَلِفَها الأسد، وأصبح يقترب منها في وُدٍّ، وذات يوم ربَّتت المرأة على ظهر الأسد، فوجدت نفسها قادرةً على ثلاث شعرات من لبدته، فأخذتها على الفور، وذهبت إلى الحكيم، فلما رأى الحكيم الشعرات الثلاث، قال لها: إذا كنتِ استطعتِ أن تُروِّضي الأسد؛ أفلا تستطيعين أن تُروِّضي زوجكِ؟!... انظر «موسوعة البحوث والمقالات العلمية» على الشحود.

غضب صرخ مزمجرًا. فلا تقلبي الموازين.

٣- لا تَحِنِّي كثيرًا لأهلك أمام زوجك؛ لأن هذا يعني لزوجك أنه لم يَقدِر على إسعادك... وأن الحياة معه غير جميلة.

٤- لا تتدخلي في أمور الزوج المالية أبدًا، ولا تُبدِي تضايقًا إنْ عرفتِ بأزمة مالية... لأن هذا يعني أنك لا تثقين به كمُدبِّر لأمور المنزل.

٥- غاري بصمت ولا تُحْدِثي ضجيجًا حول التي غِرْتِ منها، فلربما يثقب ضجيجك أُذُن قلب الزوج... لتدخل تلك المرأة بسهولة فيه.

٦- أَجِّلي الكلام الذي تريدين قوله كلما غضبت ١٠ دقائق فقط... انشغلي خلالها بأي عمل أو أغلقي على نفسك الباب... لأن الكلام كالنهر إذا تفجَّر فجأةً أغرق وأهلك... ولكن إذا انتهت الفورة كان الماء نافعًا.

٧- اتصلي بين الفينة والفينة بزوجك لتخبريه فقط بكلام يحب أن يسمعه... دون أن يكون لكِ أي حاجة. فليس من الجميل أن يعتاد زوجك على قول: (ماذا تريدين؟) كلما اتصلتِ به أو يقول: (نعم، ماذا أحضر؟).

٨- لا تبيعي رضا زوجك من أجل أي سبب آخر... حتى ولو كان مهمًّا جدًّا... لأنك لو خسرتِهِ وحاول كل الناس أن يرضوكِ، لم يستطع أحد غيره أن يرسم بسمةَ النشوةِ على وجهك... ويشعرك بالرضا عن أنوثتك.

٩- لا يخرج الرجل إلى أصدقائه تاركًا زوجته إلا حين يشعر أنَّ أُذُنها تركت السماع لكلامه، وعينها تركت النظر لقوامه، وقلبها ترك الاهتمام بغرامه. فمَن هو المجنون الذي يترك بسمةً رقيقةً ليجلس مع وحشٍ في الحديقة؟

١٠- لا تخبري زوجك بعيوبه أبدًا... حدِّثيه بمزاياه فلعله يزيدها... إن الإنسان بحاجةٍ لمن يتقبله ويحبه بعيوبه[1]... ويرضى به كما هو. انظري كيف تغضبين لو قال لك يومًا: (يبدو أنك سمنتِ) وهي الحقيقة... لا أحد غير الأم والزوجة المحبة الصالحة تقدران على ذلك.

---

(١) انتبهي... عيوبه تختلف عن ذنوبه... فالذنوب يجب إنكارها والنصيحة.

الخاتمة... دعوة إلى السكن والمأوى الحقيقيين

لقد جربتِ النساءُ كلَّ سبيلٍ كيْ تنالَ حبَّ أزواجِهنَّ الخالِص. جربتْ قولَ العجائز: (العالي يظل غالي) فتعالتْ عليهِ وترفَّعتْ... فدَنَتْ في عينِهِ وسقطتْ. وجربَتِ المثلَ القائلَ: (قصقصي طيرك ما يطير لغيرك) فأَشْقَتِ الرجلَ بمطالبها لتفقره... فلم يَطِرْ لكنه مشى أو قفزَ وركض لغيرِها ولَمْ يَعُد، فإنَّما يسقطُ الطيرُ حيثُ يرى الحَبَّ، ويَقِرُّ الرجل حيث يرى الحُبَّ. وجربتْ قولَهُنَّ: (كثرةُ الولدِ تقيمُ الرجلَ عندكِ للأبد) فهاجرَ لَمَّا انشغلت عنه وكتبَ خلفَه: (خرجَ ولمْ يَعُدْ). وأطاعتِ النساءُ الشاعرَ حين قال:

عليكِ يا سيدة البنات ... معصية الزوج إلى الممات

وداومي غيرته وشتمه ... وقاتلي في كل يومٍ أمّه

وباعدي ما بينها وبينه ... وعينها فأسخني وعينه

فأبعدها الله وأخزاها، وبقيت طالقًا لا تجدُ مَن يعولُها أو يرعاها.

ألمْ يحنِ الوقتُ لنجربَ سبيلَ الحوراءِ... وعدَ ربِّ السماءِ، ونَعِشْ السعادةَ الحقيقية؟ أما آنَ الأوانُ لكيْ نعرفَ أماكِننا فلا نبرحَها؟ بتنا نتعاملُ كأنَّ الرجلَ عدوُ المرأةِ، والماهرُ منْ يكسبُ في الحربِ جولةً. نتعاملُ بمنطقِ الكرامةِ والسلعِ والمصالحِ والأرباح. رحمكَ اللهُ يا بنَ المسيّبِ، فقَدْ سُئل -رحمهُ اللهُ- عنَ قولهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خيرُ النساءِ أيسرهنَّ مهورًا»[1]. فقيلَ له: كيف تكونُ حسناءَ ورخيصةَ المهرِ؟ فقال: يا هذا، انظر كيف قلتَ! أهم يساومون في بهيمةٍ لا تعقلُ؟ أم هي بضاعةٌ.. طَمَعُ صاحبِها يغلبُ على مطامعِ الناسِ! ثمّ قرأ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ٨٩][2].

---

(١) لم يصح حديث بهذا اللفظ، وقد ورد حديثٌ يشبهه في «السلسلة الضعيفة» رقم (١١٩٧): «خير نساء أمتي أصبحهن وجهًا، وأقلهن مهورًا». وقال الألباني: موضوع. ووردت أحاديث أخرى في معناه؛ منها ما أخرجه أحمد وغيره: «أعظم النساء بركةً أيسرهنَّ مؤنة»، ضعَّفه الألباني وشعيب الأرنؤوط. كما ورد عند أحمد والبيهقي وغيرهما: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة»، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٢) «صفوة المسائل في التوحيد والفقه والفضائل» لمؤلفه: أبو رحمة محمد نصر الدين محمد عويضة.

نحن شيءٌ واحدٌ يحتاج كلٌّ منا الآخرَ. يا هذا انظُرْ كيف قلتَ.. ويا أنتمْ انظروا ماذا تقولونَ! كان الرجلُ يَقْرَأ قولَ اللهِ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فيحمدُ اللهَ. أمَّا اليوم فقَدْ جَعلْنا الآيةَ بليةً من البلايا. متى نرى الآيةَ مرةً أخرى، ونعلمَ أنْ لا غِنى لنا عن أزواجِنا ولا غنى لهم عنَّا؟

أيها الناسُ، فُتِحتْ أبوابُ القنواتِ بفِتَنٍ تَسْتَعرْ، وتفجرتِ الأرضُ بالشهواتِ، والتقيا على أمرٍ فيه هلاكٌ للبشرِ. أيها الناسُ، إنَّ النفسَ في فيضانِ الفتنِ تصيحُ بنداءِ ابنِ نوحٍ: ﴿سَـَٔاوِىٓ﴾ [هود: ٤٣]، سآوي إلى زوجٍ يعصمني من البلاءِ، فنحنُ للرجالِ سكنٌ... وهم لنا مأوى. فلماذا نهدمُ المأوى بمعاولِ العصيانِ والكبرِ؟ فلنهربْ من فيضانِ الفتنِ ولنَصْعَدْ معًا إلى سفينةٍ ذاتِ عفافٍ وسترٍ، تجري بنا بعينِ اللهِ حتى تستقر، فلعلها تستوي بنا على شواطئِ النجاةِ والهناءِ المستمر.

أيها الناسُ، إنَّ مَن نجا من فيضانِ الأرضِ فلا بدَّ أنّه ابتلَّ بماءِ السماءِ. والبللُ يُشعِرُنا بالبردِ، ومَنْ شعرَ بالبردِ احتاجَ اللباسَ. قالَ الله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ٨٧].

أيها الناسُ، خَالَفَ الرماةُ رسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وغيَّروا مواقعَهم[1]، فباؤوا بالكرةِ الخاسرةِ. وعاتبهم اللهُ على العصيانِ فقال: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. فكَمْ مرةً غيَّرنا مواقعَنا، وبدَّلنا أماكننا، وتركنا أدوارَنا، وفَشَلْنا وعَصَيْنا وتَنَازَعْنا، ثم صِحنا: آهٍ ثُمَّ آآهٍ! لماذا غابَ عونُ اللهِ؟ وَيْحَكُمْ: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٥]، ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، و﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٠].

أيتها المرأةُ... يا أمةَ اللهِ... لا تكوني كإبليسَ قيلَ له: (اسْجُدْ لآدمَ) فلَمْ يَعْرِفْ مكانهُ وقَدرَه، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، فعصى اللهَ وخالفَ أمرَه، فلعنهُ اللهُ، وطردَه منَ الجنّةِ ودحَره.

أيها الزوجُ: استعمل قوامَتك للتقويمِ لا للكَسْر، واتقِ اللهَ في قوتِك، وَمُرْ بالجميلِ لا بالمُرِّ، وطَوِّعْ خُلُقَكَ تَسهُلْ طاعتُك. ومَنْ قَدَرَ فاللهُ أقدرُ منهُ، ومن ظلم فاللهُ يعدلُ معه.

---

(١) كان هذا في غزوة أُحُد؛ فانظرها في السير.

أيها الزوجُ، لا تبقَ صامتًا. تحدَّثْ أولًا عن مطالبكَ كَيْ تريحَ مَن يصاحبكَ، ثُمّ تحدَّثْ عن مشاعركَ كَيْ يطمئنَ مشاركُكَ. إنَّ التوضيحَ طريقُ التصحيحِ، وإنَّ الثناءَ طريقُ الارتقاءِ، وإنَّ صمتكَ يميتُ كلَّ معاني الجمال.

أيها الأزواجُ، اسكنوا أرضَ الطاعةِ... وكُلوا من ثمارِ السعادةِ رغدًا... ولا تقربا شجرةَ المخالفةِ والكبر... فتكونوا من الظالمين.

أيها الأزواجُ، كَمْ مرةً ذقنا الشجرةَ وبَدَتْ السَّوأةُ فلَمْ نخصفْ علينا من ورقِ التوبةِ، ولَمْ يَزَلْ نداءُ اللهُ فينا: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، ولَمْ نسمع بعده: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]. وما زال يَصْدَحُ فِي سَمْعِ الكَوْنِ قولُ ذي المنَّة: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وكَمْ مِنْ مفتونٍ مغرورٍ هابطٍ مع الجمع إلى منزلٍ لا يقيمُ بهِ إلا الأشقياءُ، فَلْنَعُدْ إلى الجليلِ ربِّ السماءِ، نُواري السوأةَ بلباس الاستغفار وريش الاعتذار هاتفينَ: ربنا ألبِسْنا لباسَ التقوى... واغفرْ لنا يا غفارُ.

اللّهُمَّ تقبَّلْ منَّا... وأصلِحْ ذاتَ بيننا... وأصلِحنا لأزواجِنا... وأصلحْ أزواجنا لنا. اللّهُمَّ إننَا ظلمنا أنفسَنا فاغفرْ لنا. اللّهُمَّ إنّكَ أقسمتَ بنفسكَ فقلتَ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٨-٦٩]. فإنْ كنتُ أنا الأشدُّ عِتيًّا، فها أنا قد أتيتُكَ نادمًا قبلَ أنْ تنزعني، فاغفرْ لِي يا كريمُ وارحمنِي يا ربِّ. ربي وعزتكَ لو حبستني في النارِ سرمدًا لكنتُ أهلًا مع عِظَمِ التقصيرِ منِّي وعظيم الإحسانِ منكَ... ولكننا ربَّنا لا طاقة لنا على نارِكَ... ولا نحتملُ تعذيبَ زبانيتكَ... ولا نقدرُ على حبسِ أغلالكَ... ولَوْ أَطَقْناها يا رَبِّ فكيفَ نطيقُ غضبكَ وإعراضكَ. يا ربِّ اغفرْ لي ولوالدي ولمَنْ قَرَأَ كتابي ولوالديهم... واحفظ أسرتي وأُسَر القارئين وتقبَّلْ مِنَّا أجمعينَ... وتوفَّنا على الإسلامِ وألحِقنا بالصالحينَ... والحمدُ للهِ ربِ العالمينَ... والصلاةُ على الهاشميِّ الأمينِ.

فهـــرس الكـــتاب

الموضـــــوع	الصفحة
إهداءٌ يُنثر عطرًا	٣
قبل البدء	٤
تمهيـــد	٦
لعبة الإعلام	٩
لـمـــاذا نتـنـافـــس؟	١٢
أنـانـيـــة ... لا حـب	١٦
زمن يستحق التضحية	٢٣
العـالـــم ملـــيء بالأزمـــات	٢٥
زوجـي لا يسـتحـــق	٢٨
صـفـــات الحـــور	٣١
دعوة للثبات: هل المشـاكل الزوجية حتمية؟	٤٤
كوني له أَمَة يكن لك عبدًا	٤٨
الـهـــــــدف	٥٢
مـيـزة لا تـمـلكها الحـــوراء	٥٦
الزوجة الثانية: بين الشـرع والقضـاء والابتـلاء	٦١
همـــسة للرجـل واسـمـــعيها أنـتِ أيتهـــا المـــرأة	٧٣
مينـــاء الـود: رســـائل قصـــيرة للزوجـين	٨٨
قصيدة: امضِ قبلي	٩٠
الخاتمة... دعوة إلى السكن والمأوى الحقيقيين	٩٣

ستُتْعِبينَ قلبَكِ في منافَساتٍ
خاسرةٍ... حتّى لو رَبِحتِ شوطًا منها،
ستخسرينَ الكثيرَ في مقابلِ ذلك
الفوزِ...
لو لم تخسري إلّا صفاءَ قلبِكِ ورِضاكِ
عنِ خِلقتِكِ، لَكَفَى...
لا الممثّلاتُ، ولا الجاراتُ، ولا
المُذيعاتُ، ولا القريباتُ، سيَجعلنَكِ
تشعرينَ بفوزٍ...
ثُمّ، لِماذا عليكِ التنافُسُ مع كلِّ
هؤلاء؟ ما الثمن؟!
نَظرةٌ من قلبٍ مَلولٍ بالنِّساءِ،
مَشغولٍ؟!
اجعلي طُموحَكِ أسمى... لن تَرتاحي
حتّى تُقرِّري أن تُنافسي امرأةً واحدةً،
سَبَقَتْكِ إلى الجَنّةِ

بقلم الكاتبه